

18

أفلام عربية جديدة

فانتازيا

توم ومن معه !

Looloo

[www.dvd4arab.com](http://www.dvd4arab.com)





## مقدمة

اسمها ( عبير عبد الرحمن )

إنها لا تملك شيئاً من رقة اسمها ، ورشاقة اسمها ..  
إن ( عبير ) ليست جميلة بأي مقياس ، ولا تجيد  
القتال أو قيادة السيارات ، وليست عالمة أو أديبة  
ممثلة ، ولا تملك مؤهلاً دراسياً محترماً ..

إن ( عبير ) هي إنسانة عادية إلى درجة غير  
مسبوقة .. إلى درجة تجعلها فريدة من نوعها ..  
وتجعلها جديرة بأن تكون بطلة السلسلة ..

لقد قابلت ( عبير ) ( شريف ) .. خبير الكمبيوتر  
الثرى الوسيم - والأهم من هذا - العبقري .. وكان  
( شريف ) وقتها يبحث عن فتاة عادية جداً ولا تملك  
أي ذكاء .. هذه الفتاة ستخضع لاختبار جهاز ( صانع  
الأحلام ) الذي ابتكره ، وهو جهاز قادر على استرجاع  
ثقافة المرء ، وإعادة برمجةها في صورة مغامرات  
متكاملة ..

ولأن ( عبير ) تقرأ كثيراً جداً .. ولأن عقلها مزدحم

بأبطال القصص ومواقف القصص ؛ صار عقلها خامّة  
صالحة لخلق مئات القصص المثيرة ..

( عبير ) سترى القصص التي عشقتها .. ولكن  
مع تحوير بسيط : إنها ستكون جزءاً متفاعلاً في كل  
قصة ! ستطير مع ( سوبر مان ) وتتسلق الأشجار مع  
( طرزان ) .. وتغوص في أعماق المحيط مع كابتن  
( نيمو ) ..

وتزوج ( شريف ) ( عبير ) .. ربما لأنه أحبها  
حقاً .. وربما لأنه كان بحاجة إلى إبقاء فأر تجاربه  
معه للأبد .. ونعرف أن ( عبير ) حامل ..

وتواصل ( عبير ) رحلاتها الشائقة إلى ( فانتازيا ) ..  
تري الكثير وتعرف الكثير .. وفي كل مرة ينتظرها  
( المرشد ) ليقودها إلى حكاية جديدة ..

إن ( عبير ) تنتمي إلى ( فانتازيا ) .. أرض الخيال  
التي صنعها الكمبيوتر لها من خبراتها ومعلوماتها  
الخاصة .. وأعاد تقديمها لها من جديد ..

( فانتازيا ) هي المهرب من برائن الواقع .. ومحل  
الوجوه التي لا تتغير ..

( فانتازيا ) هي الحلم الذي صاغته عبقرية الأدباء



على مرّ السنين .. ولم يكن من حقنا أن نكون جزءاً  
منه .. لكن هذا في مقدورنا الآن ..

لسوف نرحل جمعياً مع ( عبير ) إلى ( فانتازيا ) ..  
نضع حاجياتنا وهمومنا في القطار الذاهب إلى هناك ..  
هو ذا جرس المحطة يدق .. وهدير المحركات  
يدوى .. إذن فلنسرع !



## ١ - حادث صغير ..

وضعت ( عبير ) طفلتها ( شذى ) ذات مساء حاراً  
من شهر ( يوليو ) ..

لماذا اختارت لها اسم ( شذى ) ؟ ربما لأنها استعملت  
هذا الاسم من قبل في مغامرتها ( بين عالمين ) ؟ وظل  
الاسم عالقاً في ذهنها منذ ذلك الحين ..

لقد كان ( شريف ) زوجها يتمنى لو رزق بطفل أن  
يسميه ( عادل ) ، لكن رنين اسم ( عادل شريف ) بدا  
لها ملفقاً مفتعلاً إلى حد ما ، كأحد أسماء القصص ..

وسرها أن رزقت بأنثى ؛ لأن هذا أعفاهها من  
المجادلة ، وبدا لها اسم ( شذى شريف ) اسماً موسيقياً  
لا بأس به ، يناسب شاعرة لامعة ، أو صحفية متحمسة  
ناشطة ..



حقاً لم تكن تجربة الولادة قاسية كما عرفتُها في  
عالم الخيال .. والغريب أنها انتهت قبل أن تحسبها قد



بدأت .. تذكر الحر والعرق ، وتذكر الكشافات الحارقة  
المسلطة عليها في غرفة لها رائحة المطهرات .. رائحة  
المرض كما تخيلت دائما .. وتذكر وجه الممرضة الأسمر ،  
وهي ترند لها مرارا عبارات التشجيع ، وصوت الكائن  
الصغير الذي يعوى كالشياطين ، محتجا على مغادرته  
للظلام الناعم الدافئ ، الذي كان يسبح فيه مائتين  
وثمانين يوما .. تذكر الابتسامات وعبارات التهاني ،  
وتذكر الأم الممض الذي جاء سريعا وخبا سريعا ..

وأخيرا يضعون الكائن الصغير الأحمر كالطمطم  
جوارها في الفراش ، ويقولون إنها طفلة جميلة .. كيف  
عرفوا هذا ؟ كل الأطفال حديثي الولادة لهم وجوه  
السلحف ، وينامون ثلاثين ساعة في اليوم ..

( شريف ) يجلس جوارها مؤدبا واجبه كما ينبغي ،  
فترتجف زاوية فمه وتدمع عيناه ، ويلثم أناملها ، ثم  
يربت على الرضاعة بحذر ؛ لأنه من الآباء الذين يهابون  
الأطفال ، ويخشون أن يتفكك الرأس ليسقط على  
الأرض لو حاولوا حمل رضيعهم ..

\*\*\*

ويحسد أهلها وأهله في مكان واحد ، ويله من مشهد !  
يحاول أهله أن يكونوا على طبيعتهم ، بينما يحاول  
أهلها أن يكونوا أكثر رقيًا ، لكنهم بالتأكيد سيفترقون  
بعض ( الأشياء البدي ) كما ستصفها حماتها ( نسل  
شاه هاتم ) لصديقتها فيما بعد :

- « سي ترو ! كال سوفاج ! »

لكنها كالعادة - ستبدو مجاملة جدًا رقيقة جدًا ، من  
أجل ( شريف ) طبعًا ، لأنها - الآن فقط - تعرف أنه  
يحب زوجته حقًا ..

\*\*\*

ويجلس ( شريف ) جوارها على طرف الفراش ،  
يتأملها وهي تستبدل الكافولة المتسخة لرضيعتها ،  
ويبتسم .. إن دفء الأمرة قد تلاعب برأسه المنهك ،  
وللمرة الأولى يشعر بقسط من السعادة والرضا ..

- « سرنى أنك اتهمكت بالأمومة .. »

- « المرأة تتنفس الأمومة دون إرادة منها ، فلا  
خيار لها .. »

لبتسم ، وقال شاردًا :



- « قد لاحظ الدكتور ( سبوك ) هذا مراراً .. إن الأولاد يلهون بالمسدسات والعربات منذ البداية ، بينما الفتيات يعشن بالدمى كأنهن يتدربن لا شعورياً على الأمومة .. وهذا غريب حقاً .. المفترض أن الهرمونات الجنسية لا تعمل في سن الطفولة .. المفترض أن الأولاد والبنات كائنات متماثلة هرمونيا ، وبرغم هذا يوجد شيء لا نعرف كنهه ، يجعل البنات يتصرفن كالنساء ، والأولاد يتصرفون كالرجال .. »

بادلت بابتسامته ابتسامة مماثلة ، وقالت :

- « لا أفهم جل ما تقول ، لكنى أعرف شيئاً واحداً : لنا خادمة هذه الطفلة ، وحيثى لا تساوى علامة ظفرها .. ولثمت قدمها الصغيرة المكتنزة في نهم .. »

اضطجع ( شريف ) على الفراش ، وسألها في خبث :

- « هل تحبينها أكثر من ( فانتازيا ) ؟ »

- « طبعاً .. ولكن ما الذى جعل هناك اختياراً بين الاثنين ؟ من قال إن على الاحتفاظ بـ ( شذى ) أو ( فانتازيا ) ؟ »

- « إن ( فانتازيا ) تبعدك عنها .. »

نظرت له عينيه نظرة صادقة ، وقالت :

- « ساعة واحدة من الحلم كل أسبوعين ليست بالشئ الكثير .. أنت تعرف ما تمثله لى ( فانتازيا ) .. كأنها زيارة إلى بيت أسرتى حيث أنتمى ، وأنت لن تحرمنى من زيارة أسرتى أبداً .. »

- « لم يعد ( دى - جى - ٢ ) اختراعاً ذا نفع تسويقى .. »

- « لكنه ذو نفع لى .. إنه يبقينى آدمية وحية حتى الأسبوع التالى .. »

ثم صغرت بشفتيها وهى تنظر للطفلة :

- « يا خبيثة ! لقد فعلتها ثانية فى الكافولة الجديدة ! »

وبدأت تفك الشريط اللاصق ، وهى تكمل كلامها :

- « لقد أتاحت لى ( فانتازيا ) فرصة لم ولن تسنح لإنسان آخر فى التاريخ .. وما زلت أنت تحاول منعى من اغتنام هذه الفرصة ؟ »

- « إتبعها الطريق الممهد للإصابة بالخبال .. »



- « لكنى لم أصب به بعد .. ولم أضع كسرونة على رأسى أو أسكب علبه السمن على شعرى .. هذا يطمئنك إلى حد ما .. »

★ ★ ★

وهكذا تجدوننا فى الغرفة الشهيرة أمام المشهد ذاته ..

( عبير ) والأقطاب على رأسها تغمض عينيها ، وتأخذ شهيقاً عميقاً ، بينما ( شريف ) يضغط على زرّ الإنخال على شاشة الحاسب الآلى ..

لقد نامت الطفلة ، واستقرت أمور الدار ، واختفت الصحون المتسخة من حوض المطبخ ، وقمصان ( شريف ) المكوية قد تراصت فى خزانة الثياب ، فما المانع من ..... ؟!

لا مانع ..

فلتبدأ الرحلة الجديدة ..

★ ★ ★

## ٢ - على ضفاف المسيسبى ..

فى كل مرة يزداد الانتقال سلاسة ويسراً ..

★ ★ ★

وقال لها ( المرشد ) وهو يداعب قلمه الزنبركى :

- « تك تك تك ! من هنا يمكنك البدء .. سلام ! »

جذبتّه من كم سترته فى رعب ، وصاحت :

- « لحظة ! أنت لا تعطى أية تفاصيل ! »

نظر إلى النهر الممتد أمامهما ، والذي تتلوى ضفافه كالأنقى ، والذي يلتصق فى ضوء شمس الظهيرة الحار ، بينما قارب بخارى عملاق له رفاصان جانبيان كبيران ، يتحرك ببطء فى الأفق ..

قال لها وهو يدس القلم فى سترته :

- « الأمر سهل .. هذا هو نهر ( المسيسبى ) ،

وهذه هى قرية ( هاتيبال ) .. ولا أظنك تجهلين أنها موطن الأييب الأمريكى العظيم ( مارك توين ) هه ؟ لا أظنك بهذا الجهل .. »



ضربت كفًا بكف في غيظ ، وصغرت خدها ..

- « أقسم بالله إننى أسمع هذه المعلومات للمرة الأولى فى حياتى .. من تحسبني حتى أتذكر القرية التى ولد فيها كل أديب عالمي ؟ »

- « هذه القرية تختلف .. لقد كتب الرجل عنها وعن ( المسيسبى ) كثيرًا جدًا .. وبالتأكيد أنت قرأت شيئًا عن هذا .. لكنك نسيت .. وهو ذا عقلك الباطن يتولى القيادة كعادته .. »

ثم لوح بيده متعجلًا :

- « وداعًا إذن ! »

- « لحظة ! ما الأخطار المتوقعة هنا ؟ »

- « لا أرى خطرًا .. إنها قرية هادئة ساكنة كالخيار ! »

- « لكنك أوجدت لى الأخطار حتى فى عالم ( ليزنى ) ،  
ووسط البط .. »

- « لو لم يوجد خطر فلا مغامرة .. نحن لا نقوم بالسياحة هنا .. لا بد من مشاكل ما .. ومن ثم تولد التجربة المثيرة .. »

وفى هذه المرة لم يودعها ، كى لا تستبقيه أكثر ..

ببساطة ثلاثى من أمامها ..

الآن بوسعها أن تلقى نظرة أوسع على النهر ، فائق الجمال ، الذى اشتهر بغرابة مجراه ..

لقد خلد الأديب الأمريكى ( مارك توين ) هذا النهر فى كتاباته ، وخاصة فى كتابه الشهير ( الحياة على المسيسبى ) ، ووصف لنا كيف يتلوى النهر بجنون كافعى ، حتى أنك - فى بعض المواضع - يمكن أن تغادر قاربك وتمشى على الأرض تاركًا القارب للنهر ، وسوف يمر القارب أمامك خمس أو ست مرات ، ويمكنك أن تثب لتركبه بعد كيلومترين !

لفظة ( مسيسبى ) فى ذاتها تعنى ( النهر الكبير ) بلغة هنود الشمال ، وهو نهر يناسب هذا النعت حقًا .. طوله ٣٧٧٩ كيلومترًا ، وينبع فى ( منيسوتا ) من بحيرة ( إيتاسكا ) . ويستقبل أنهار ( ميسورى ) و ( رد ) و ( أوهايو ) و ( أركنساس ) ، ويمر بولاية ( إيلينوى ) حيث توجد مدينة ( القاهرة ) ، وهى القاهرة أخرى غير قاهرتنا النيلية طبعًا ..... و .....



لماذا أحكى هذه التفاصيل ؟ لا بد أننى جئنت إذن ..  
 إن ( عبير ) لا تعرفها ، وما تعرفه ( عبير ) لا يهمنا  
 فى شيء .. لأن هذه هى ( فلتتازيا ) حيث كل شيء من  
 صنع ( عبير ) ومن بنات أفكارها ، وحدائق مخيلتها ..

★ ★ ★

وكان راقداً هناك على ضفة النهر ، واضعاً ساقاً  
 على ساق ، مضطجعا على ظهره ، تمسك أصابع قدمه  
 للحافية بغصن شجرة ربط خيطاً إلى طرفه على سبيل  
 الصنارة ، وتلقى باقى الخيط فى الماء بحثاً عن سمكة  
 لا وجود لها .. بالطبع ما كان ليمسك الصنارة بيديه  
 لأنه لا يريد إفساد استرخائه ، والاسترخاء يحتاج إلى  
 يدين تحت رأسه على سبيل الوسادة كما تعلمون ..  
 جواره كان صبي أكبر سنًا يلتهم أجاصة مسروقة ،  
 ويضع على رأسه قبعة من القش ..

يقول ذو القبعة لصاحبه :

— « لم لا نهرب يا ( توم ) لتعمل قراصنة ؟ إن  
 حيلتهم كلها مغامرات .. »

يرد ( توم ) وهو يتعجب :



جواره كان صبي أكبر سنًا يلتهم أجاصة مسروقة ، ويضع على  
 رأسه قبعة من القش ..



- « إن ملايسى لا تصلح للقرصنة ، ثم إن عيسى  
سليمتان للأسف .. »

وعلى الفور تذكرت ( عبير ) هذا المشهد الخالد :  
( توم صوير ) الصبى المشاكس وصاحبه ( هاكلبرى  
فان ) (\*) .. هذان من شخصيات الألب الخالدة ، وربما  
أهم شخصيتين فى الأدب الأمريكى بأسره ، وكما أن  
الأدب الروسى كله خرج من عباءة ( جوجول ) فإن  
الأدب الأمريكى خرج من عباءة ( مارك توين ) .. هذا  
هو ما قاله أبناء أمريكيون لهم ثقلهم ..

لاحظت ( عبير ) وهى تقف عن كئيب من الغلامين  
أنها صارت أقصر قامة ، وأنها ترتدى قبعة مزركشة  
الحواف بالدانتيل ، وأن ثيابها صارت ملائمة للعصر -  
الذى هو أواخر القرن التاسع عشر - وإن كانت أقرب  
إلى المربولة .. وكانت قدماها دقيقتين محشورتين فى  
حذاء أنيق ..

هذه هى الحقيقة : إنها أصغر سنًا .. لا بد أن عمرها  
الآن عشرة أعوام أو أكثر قليلاً ..

(\*) جاء إلى الوجود فى عامى ١٨٧٦ و ١٨٨٤ على  
الترتيب ..

ترى من لنا ؟ وما اسمى ؟

سؤالان برينان لكنهما عسيرا الإجابة ، ومن السخف  
توجيههما على كل حال .. إن ( المرشد ) الأحمق ينسى  
كثيرًا فى الآونة الأخيرة ..

لكن ( توم ) - شكرًا له - أُنقذ الموقف ، إذ وثب على  
قدميه صائحًا :

- « بيكى تاتشر ( هنا ؟ ) يا لها من مفاجأة ! »

هنا وجدت الكلمات تتساب على شفثيها :

- « ( توم صوير ) ! أيها الفاسد المتلاف ! سأخبر  
المعلم أنك تصطاد السمك هنا مع ( هاكلبرى فان ) ! »  
بدا الرعب على وجه ( توم ) ، والخجل على وجه  
( هك ) .

فالحقيقة هى أن قرية ( هاتيبال ) كلها كانت تعتبر  
( هاكلبرى فان ) إثمًا يمشى على قدمين ، ولو أمكن  
إعدامه لكان هذا أنسب .. إن أباه هو سيكر القرية ،  
وهو لا يهتم بإرساله إلى المدرسة أو الكنيسة ، ولا يعرف



أبدًا لأين يذهب ابنه ، ولا يسأله عن وجهته ، والصبي  
الوحيد في ( هاتيبال ) الذي يملك الحق في عدم لتعال  
حذاء هو ( هاكلبرى فان ) ..

باختصار : كان الصبي يملك كل ما يدعو للصبيّة  
الآخرين لحسده والإعجاب به ، وكل ما يدعو الآباء  
لكراهيته والرغبة في خنقه ..

ولهذا كانت تهمة اللعب مع ( هاكلبرى فان ) جريمة  
شنعاء .. جريمة تستحق الإعدام دون محاكمة ..

صاح ( توم ) في هلع محاولاً اللحاق بها :  
- « ( بيكى ) ! لا تفعلنى ! إن عندى فأراً ميتاً مربوطاً  
فى خيط ، وسوف أعطيك إياه .. »

فى شمع هزت كتفها :

- « بل سأفعل ! »

- « سأفك أربطة يدي لأريك إيهامى المتفرح .. هذا  
مشهد لا يجب أن يفوتك ! »

- « لقد رأيت ما هو أفضل .. والآن وداعاً ! »

وفى كبرياء ابتعدت ، عالمة أن ( توم ) يهيم بها  
حباً ، ولن يخنقها كي تصمت بالتاكيد .. إن ( بيكى ) هى  
نقطة الضعف الوحيدة فى حياة ( توم ) .. المحبوبة القاسية  
المتعالية ، التى لا تمنحه لحظة رضا نفسى واحدة ..

والأمر الذى كانت تعرفه جيداً بدورها ، هو أنها لن  
تخبر أحداً .. لماذا ؟ لأنها تميل بدورها إلى ( توم ) ..  
هل يحتاج هذا إلى نكاء ؟

حبّ الأطفال ! يا له من شيء قاس ! يا له من شيء  
عذب ! يا له من ألم حارق لذيد ! قليلون كتبوا عنه  
برقة وشفافية ( مارك توين ) وهو يتحدث عن حبّ  
( توم ) لـ ( بيكى ) ..

\* \* \*

وكان ذلك الرجل أشيب الشعر ، كثّ الشارب ، ذو  
النظرات الحادة ينتظرها فى طريق العودة لدارها ..

يرتدى بذلة بيضاء ، ويدس يديه فى جيبه ، ويدخن  
السيجار ، وعلى شفثيه تتلاعب ابتسامة مشاكسة  
نوفاً ..



- « مرحباً يا فتاة ! »

قالت في كبرياء رافعة رأسها :

- « معذرة .. ولكن أمي قالت لي ألا أكلّم الغرباء ،  
وأعتقد أنك غريب يا سيدى .. لهذا أسمع لى .. »  
بدا وثقاً من نفسه ، غير راغب فى التراجع ..

- « أنا لست غريباً .. هي قريتى ، وهذا هو  
عالمى .. يمكن القول دون حذر إتنى هو ( توم صوير )  
نفسه .. باختصار أنت ضيفة لدى ومن أبسط قواعد  
اللباقة أن تردى على .. »

للحظة نظرت إليه فى شك ، ثم تذكرت شكله :

- « أنت ؟ أنت ؟ »

- « ( مارك توين ) ! أنا هو شخصياً .. »

- « تبدو لى أكثر قبحاً مما تصوّرت .. »

وضع يده على كتفها فى بساطة ، ومشى الهوينى  
جوارها :

- « لأن الأحداث الجسم تركت ندوبها فى وجهى .. »

لقد كنت فى الماضى ومسيماً ، حتى إن النساء كن  
لا يعرفننى إذ يحسبننى نهاراً مشمساً !

ثم شهدت موت شقيقتى وابنى وابنتى وزوجتى ..  
لقد شاب شعر رأسى فى دقائق ، وأنا أرى احتراق  
للقارب الذى كان شقيقتى على ظهره .. بعد هذا كله  
أعتقد أن جمال الشكل ترف لا أستأهله .. »

- « وبرغم هذا لم تكف عن السخرية ؟ »

- « بل من أجل هذا لم أكف عن السخرية .. »

وسعل قليلاً ، ثم أرفف :

- « إتبنى أضحك كى لا ألتحر كما يقول ( فولتير ) ..  
وقد صار مملاً أن نعرف فى كل مرة أن أعظم  
الساخرين كان يحمل حزن الكوان فى قلبه .. وحين  
تغزر الدموع قد تتجمد الشفتان فى ابتسامة مريرة .. »

سألته وقد رفقت لكلماته :

- « إن لك اسماً طويلاً معقداً على ما أنكر ؟ »

- « اسمى الأصلى هو ( صمويل لانجهورن كليمنز ) .. »



لكن ( مارك توين ) هو اسم اخترته لكتابتى الساخرة ،  
وهو مصطلح من مصطلحات الإبحار فى المسيمبى معناه  
( علم على اثنين ) .. ربما لا تعرفين لئنى قضيت صباى  
مرشدا على ظهر قارب بخارى فى ( المسيمبى ) ، ولقد  
عشت هذا النهر وأحبته كما أحببت كفة يدى .. وإن  
كان تعلم تضاريسه شديدة التعقيد أمرا شديدا للعصر فى  
بدايته (\*) .. »

كانت قد وصلت إلى منزل عتيق - لكنه فاخر ،  
أدركت دون جهد أنه منزلها .. قال لها ( مارك توين ) :  
« هذا هو منزل القاضى ( تاتشر ) أبىك .. إنه  
رجل مهم ، لكنه بالنسبة لـ ( توم صوير ) أعظم رجل  
فى الكون .. ألم ينبجك ؟ هذا إنجاز مذهل قائم بذاته ..  
سألته وهى تتحرر من يده على كتفها :

« لماذا ظهرت لى الآن ؟ »

( \* ) لهواة الأرقام : ولد ( مارك توين ) عام ١٨٣٥ وتوفى عام

١٩١٠

يصدق على الأرض بعد ما سعل .. ( وكان مارك توين  
من هواة السعال والبصاق كما وصفه معاصروه ) وقال :  
« أردت أن أخرجك من حيرة وجدتك فيها ، وأن  
تبتعدى عن الإسبتى ( أنجان جو ) فهو يحب إخراج  
لحشاء أعدائه بمطواة صدنة ! »

بدا لها الأمر مخيفا .. فهناك أسبتى يخرج لحشاء  
ضحاياهم بمطواة - وهذا الأسوأ - صدنة .. لا تذكر أنه  
كان فى القصة شيء كهذا ..

لكن ( توين ) لبس ، وقال :

« بل كان فيها شيء كهذا .. لكنك نسيت ..  
مشكلة قصصى الدائمة هى افتقارها للدافع السردي  
ووحدة الموضوع ، حتى بدت لبعض النقاد كأنها  
مجموعة من المشاهد تم جمعها فى كتاب واحد .. هذا  
رأىهم ولا ألومهم عليه .. إن كتبى سلسلة من  
الملاحظات الساخرة التى تسمى لمرتبة الشعر ، لكنها  
خالدة وستظل كذلك متحفية أى إطار أدبى .. »



لم تفهم أكثر كلماته ، فهي بلهاء كالنعامة ، ثم إنها  
الآن أقرب إلى سن الطفولة ، لهذا حينه تحية المساء  
وهرعت إلى دارها ..

إن الأحداث ستفصح عن نفسها ، وما سيكون سيكون ..

★ ★ ★

### ٣ - شاهدان ..

من هو ( أنجان جو ) ؟

في الحقيقة لا بد أن نعود للوراء بضع ساعات كي  
نعرف القصة كلها ..

★ ★ ★

- إلى أين ذهب ( توم ) و ( هاك ) عند منتصف الليل ؟

- طبعاً ذهبوا إلى المقابر ..

- لماذا ذهبوا ما دامت هذه ليست قصة رعب ؟

يا له من سؤال ! طبعاً ذهبوا للتخلص من السنط !

- هل يوجد لدى ( توم ) سنط ؟

- طبعاً .. فهو يلعب بالصفادع كثيراً !

- لماذا حملاً قطعة ميتة معها ؟

- يا له من سؤال ! كيف يمكنك التخلص من السنط

ما لم تكن معك قطعة ميتة !؟



حسب القواعد انطوية لقريّة ( هانيال ) توجد عدة طرق للتخلص من السنط في الـدين :

( أ ) الماء الباقي بعد المطر : يمكنك أن تغمس يـدك في جذع شجرة قد تجمع فيه ماء المطر .. تلصق ظهرك بجذع الشجرة وتدس يـدك فيه ، ثم تمشي إحدى عشرة خطوة مقلق العينين ، ولا تكلم أحداً ، حتى تعود إلى دارك ..

( ب ) طريقة حبة الفول : هنا يمكنك تقسيم حبة الفول إلى فـلقتين ، ثم تـلطخ الفـلقة الأولى بالدم المتخلف من السنطة .. عند منتصف الليل ادفن الفـلقة في مكان يتقاطع فيه طريقان ، واحرق الفـلقة الأخرى .. لفكرة هنا هي أن إحدى الفـلقتين تحاول اللحاق بالأخرى ، وبالتالي تزول السنطة - لا أدري كيف في الواقع ..

( ج ) طريقة القطة الميتة : تذهب للمقابر ومعك قطة ميتة .. بشرط أن يكون مجرم قد دفن في اليوم السابق .. انتظر حتى منتصف الليل حين يجيء الزبانية ليأخذوا جثة المجرم ، عندها تقذف للقطة في إثرهم وصـخ : « يا شياطين اتبعوا للجثة .. يا قطة اتبعي

لشياطين .. يا سنطة اتبعي القطة ! » ويقال إن هذا علاج ناجع جداً ..

وكما قلنا آنفاً كان ( توم ) يملك الكثير من السنط في يـديه ، ولديه هدية ثمينة هي قطة ميتة متصلة ، وهناك شرير دفن اليوم بعد شنقه هو ( هوس وليامز ) ..

كان الإغراء قوياً ، وبرغم أن الغلامين كاتا يرتجفان رعباً من زيارة المقابر عند منتصف الليل ، لكن أحدهما لم يجروا على الاعتراف بهذا . إن أشجع الشجعان في التاريخ هم .. ببساطة - أنس خافوا أن يبدو جبناً .. الآن نعرف لماذا اتجه ( توم ) و ( هاك ) إلى المقابر في تلك الليلة السوداء كقلب كافر .

\*\*\*

كان الظلام دامساً ، وكان حفيف الأشجار مع الريح شبيهاً بهمس الموتى . لكن الغلامين تماسكا ، وشقا طريقهما ليتواريا خلف شجرة عملاقة ..

قال ( توم ) وهو ينتفض :

- « لا أحب هذا كثيراً .. لو أن ( هوس وليامز ) رفع رأسه الآن من التراب وقال شيئاً ما ! »



صاح ( هاك ) وهو يتصور الفكرة ، فيوشك شعره  
على أن يشيب :

- « أوه يا ( توم ) ! لا تقل هذا أرجوك .. ولا تدع  
الرجل إلا مسبقاً بلقب ( السيد ) .. قد يثير هذا جنونه !  
وظفق الغلامان ينتظران .. رؤية المشهد الرهيب  
القائم ..

وعند منتصف الليل بدقة ؛ برزت لهما ثلاثة أطباف  
تتقدم في إصرار نحو قبر ( هوس ) .. كان أحد  
الأطباف يحمل مصباحاً يستهدي به ..

وهنا غدا من الصير منع ( هاك ) من الصراخ  
أو للجري ..

- « ( تووم ) ! لقد جاءوا ! ! ! ! ! »

- « اصعد يا أحق لا تثر حنقهم ! »

ثم دقق النظر أكثر فأدرك أن القائمين بشر .. بشر  
عاديون مثلي ومثلك .. وبالتحديد هم ( إيجان جو )  
الإسباني الشرس الذي وفد إلى القرية منذ عام ،  
و ( روبنسون ) طبيب القرية ، و ( ماف بوتر ) العجوز ،

وهو رجل طيب لا يقل نفعا ولا يزيد ضرراً على كرسي  
المطبخ ..

ساد للصمت إلا من الأنفاس الثقيلة للصبيين ..

ثم إن ( توم ) فهم ما يحدث .. إن ( إيجان جو )  
يقوم بنبش قبر الشرير ، الذي دفن هاهنا اليوم ..  
والغرض معروف .. كل الأطباء يحتاجون إلى جثث  
لمصب غير مفهوم ..

هنا حدثت مشادة بين الطبيب والإسباني الشرس ..  
مشادة حول الأجر .. لو لم يدفع الطبيب المزيد من  
الدولارات فإن الجثة ستبقى حيث هي .. وسرعان  
ما تتطور المشادة إلى معركة حقيقية بالأيدي ، يحاول  
( ماف بوتر ) في أنائها التدخل ، لكن الطبيب يوجه له  
لكمة بارعة تفقده الوعي .. وتسقط مدية ( بوتر ) من  
جيبه إلى الأرض ..

وفي اللحظة التالية يدرك الطبيب مدى حماقته ..  
فقلوبهم هم من يجرعون على استفزاز ( إيجان جو ) ثم  
لا ينالون طعنة بمديته الصلبة في قلوبهم ، ولم يكن  
الطبيب ممن يشنون عن القواعد ..



اخترقت العلية صدر الطبيب .. فقال شيئا ما لا معنى له . ثم سقط إلى الغبار ، ولفظ أنفاسه ..

وقف ( إيجان جو ) يرمق نتيجة عمله ، ويفكر .. ثم قرأ قراره ، ففتح كف ( ماف بورتر ) ودس المديّة بها ، ثم مساعد للبئس على الإخافة ..

فتح ( بورتر ) عينيه ليجد مشهدا مخيفا حقًا ، وتساءلت عيناه فأجابه ( بورتر ) أن نعم :

« نعم .. لقد قتلت الطبيب يا صديقي دون أن تشعر ! »

راح ( بورتر ) يرتجف ويكي كالأطفال :

« أنا لم أرد هذا قط .. للطبيب رجل طيب وأنا أطيب منه .. ( إيجان ) يا صاحبي .. قل لي إن هذا غير صحيح ! »

« بل هو صحيح وحدث .. »

« كنت لن أخبر به أحدا .. هه ؟ »

وجثا على ركبتيه عند قدمي الرجل ، وراح يلثم أطراف سرواله للقدر متوسلا :



ثم إن ( نوم ) فهم ما يحدث إن ( إيجان جو ) يقوم بنيش قبر الشرير ، الذي دفن ها هنا اليوم ..

- « أنت ملاك ، وسوف تبقى سرى هذا .. »

فى غطسة ساعده الإسباني على النهوض ،  
وبتسامح وعده أنه لن يفشى السر ، ثم طلب منه أن  
يفرّ ..

طبعاً فرّ ( بورتر ) على الفور ، وكعادة الحمقى ترك  
مديته جوار الجثة واختفى ..

وبعد دقائق ساد الصمت الرهيب .. لم يعد من  
شهود على هذه المأساة إلا ضوء القمر الأزرق البارد  
الأرستقراطي ..

★ ★ ★

هذه كانت البداية لكنها لم تكن النهاية قط ..

لنا الآن أن نتصور للصبيين يهربان مذعورين عبر  
الحقول المظلمة نحو قرية ( هاتيبال ) الهادئة الآمنة ..  
كاد قلباهما يحلقان بلا أجنحة ، وبدا لهما كم أن  
أقدامهما عديمة النفع بطينة جداً ..

وأخيراً حين استطاعا التوقف : كتبا رلهثان كمصاصى  
للدماء ، ويجرعان الهواء كغواص نفذ الأوكسجين منه ..

قال ( توم ) أخيراً :

- « يجب أن نصمت كقبرين .. إن ( إيجان جو ) قد  
رتب الأمر كي يتهم ( ماتف بورتر ) ، ولو عرف أن هناك  
شاهدين فلسوف تكون نهايتنا ، ولن ينفقنا شيء ..  
يجب أن نقسم قسم للصمت ! يجب أن نكتب بالدم عهداً  
على أن نظل صامتين ! »

وكذا ثقب ( توم ) إصبعه بدهوس - لم يستعمل  
للنحاس ؛ حتى لا يتسهم كما قال - وكتب تعهداً على لوح  
من خشب ، يقسم فيه أن يمسك لسانه عن الثرثرة ..

لم يكن ( هاك ) يعرف كيف يكتب أول حرف من  
اسمه ، لكن ( توم ) علمه سريعاً كتابة الـ ( H ) والـ  
( V ) .

وطبقاً لهذا القسم يسقط ميتاً أول من يتكلم منهما ..  
وكان أن نبح كلب ضال قريبهما فى هذه اللحظة  
فارتجفا ذعراً ، فإن معنى هذا فى ( هاتيبال ) لا يتغير :  
لموت القريب لمن يسمع نباح الكلب ..

قال ( هاك ) وهو فى أسوأ حالات الذعر :



- « يقال إن كلباً غريباً نبج عند بيت ( جوني ميلر )  
منذ أسبوعين ، فهل تعرف ما حدث بعدها ؟ »

- « لا .. »

- « تصور أن أحداً لم يمت هناك !؟ »

هز ( توم ) رأسه في حكمة ، وقال :

- « هذا لا يدل على شيء .. إن ( جوني ميلر )  
سيموت حتماً ولا مفر أمامه .. هذا ما يقوله للزوج ،  
وهم يفهمون في هذه الأمور يا ( هاك ) .. »

ويلاحظ القارئ دائماً أن ( توم ) يلعب دور أستاذ  
الجامعة المثقف بالنسبة له ( هاكليري فان ) ، بينما  
يلعب الأخير دور كل شيء آخر بالنسبة له ( توم ) !  
إن ( هاك ) يمثل له ( توم ) كل أحلام الحرية والشيطنة  
والهروب من المدرسة والخفاء .. بينما يمثل ( توم )  
له ( هاك ) المثقف الغامض العليم بكل شيء ..  
والخلاصة هي أن علاقتهما لا تنقسم أبداً ولن  
تتكرر ..

\* \* \*

لنا الآن أن نتصور ما أصاب القرية الهادئة حين  
وجدت جثة ( روبنسون ) للطبيب في المقابر ، وهو  
حادث لا يقع إلا كل ٤٧٦ سنة في العادة ، وصار حديث  
الساعة وكل ساعة ، وسلوى للنساء ، ولعب الأطفال ،  
وهمس للكهول إذ يحتشون في الحانة .. حتى إن ناظر  
للمدرسة اضطر لاعتبار يوم اكتشاف الجثة إجازة  
رسمية !

طبعاً كانت مدينة ( ماف بوتر ) جوار الجثة ، وكان  
هذا كافياً كي يصدر الحكم للعام عليه بالإدانة ..

وأخيراً جاء دور ( بورتر ) ليجيء به رجال العمدة ،  
باكياً مولولاً ككلب يقتادونه إلى الرمي بالرصاص ،  
وراح يردد :

- « لم أقتله يارفاق ! أقسم بشرفي إنني لم أقتله ! »  
هنا تساعل أحد الواقفين في نكاء :

- « وهل قتهمك أحد بقتله !؟ »

وبدا للجميع أن هذه الرمية موفقة لصابت مقتل ..

- « إذن اسألوا ( إنجان جو ) عما حدث ! »

وفي ثقة وهدوء يثيران الإعجاب راح ( جو ) يحكى  
قصته الزائفة ، وهى كذلك فعلاً بالنسبة لصديقينا  
فحسب ..

لشد ما أثار ذهول الصبيين أن يحكى امروء قصة  
كاذبة بهذه الثقة ، وتوقعاً أن تهبط صاعقة من السماء  
لتقتل الإسمائى لكن هذا لم يحدث ..

ما هبط بالفعل على الصبيين كان شعوراً قتلًا بتأنيب  
الضمير .. إن تزوير الشهادة إثم ، لكن كتمتها لا يقل  
إثمًا ..

وفي الليل قضى ( توم ) ليلة ناهية حقاً ، وراح  
يتقلب ويعوى ويعرق ، وتقول العمدة ( بولى ) مربية  
( توم ) إنه راح يرنّد :

- « دم ادم ا »

هكذا وجد ( توم ) نفسه فى مأزق ، فلم يكن يعرف  
أنه يتكلم فى أثناء النوم ، وكان يحسب هذا مقصوداً  
على الفتيات !

فى الصباح التالى زعم أن أسنانه تؤلمه ، وربط فكّيه

بشدة برباط محكم ، واعتاد أن ينام بعد ما يتأكد من أنه  
عاجز عن التناوب ..

لكن ( سيدنى ) للصغير المشاكس الذى ينام معه ،  
اعتاد أن يفك الرباط قليلاً ؛ ليسمع ما يقول ( توم ) من  
كلام مخلوط ..

وحتى هذه اللحظة لا يعلم أحد حقيقة ما سمعه  
( سيدنى ) لولاً ..

كان ( توم ) يزداد تعاسة ، ومقتاً للحياة ..

حتى لنا يوم للمحاكمة ..

★ ★ ★



## ٤- شاهد واحد ..

في ليلة المحاكمة ، ذهب ( توم ) مع ( هاك ) إلى السجن ، وقد حملا بعض التبغ وأعواد الثقاب لـ ( ماف بورتر ) الهائس ..

كان ( بورتر ) كما قلنا لطيفاً ككرسى الحمام ، وديفاً كفرشاة الأسنان ، وقد شكرهما كثيراً ، ومع كل عبارة شكر كان خنجر ينغرس في ضمير الغلامين ..

قال ( هاك ) للرجل :

- « أنت رجل طيب ، وقد أعطيتني نصف سمكة

ذات مرة .. »

في أسي قال ( بورتر ) وهو يريح ذقنه الشحمية

على إطار النافذة :

- « لقد كنتما شديدي العطف عليّ ، كنتما الصديقين

لوحيدين لـ ( بورتر ) النص الذي اعتاد أن يعين صبية

القرية على صيد السمك ، ويصلح لهم ما فسد من

ألعابهم .. واليوم تجاهلتي الجميع ما عداكما .. هلما !  
أفخلا أيديكما الصغيرة النظيفة التي لم تتلوث عبر  
قضبان النافذة ، عني الممسها وأثمها وأمنحها  
عرفاتي .. قربا وجهيكما من النافذة كي أراهما ،  
وأعرف آخر صديقين لي على ظهر الأرض !

الخلاصة هي أن كلماته كانت منتقاة بعناية ، لتجعل  
الصبيين في أتعس حال .. وشعر كل منهما بأنه جدير  
بأن يدخل للتاريخ مع كل اللجباء والرعابيد والخونة ..  
حتمًا سيكون لهما موضع متميز هناك !

\* \* \*

في الصباح تحتشد القرية كلها عند المحكمة ..

جاءوا بـ ( بورتر ) مكبلًا بالأغلال ، فراح كل  
المحظوظين الذين استطاعوا دخول المحكمة يرمقونه  
في فضول .. ومن بينهم ( إنجان جو ) طبعا ..

ثم جاء للقاضي فأمر باستدعاء الشهود ..

الشاهد الأول رأى ( جو ) يقتل عند النهر صبيحة  
الجريمة ..

- « هل يريد محامى ( بورتر ) استجواب الشاهد ؟ »

فى وقال قال المحامى :

- « لا يا سيدى .. »

الشاهد الثالث رأى مديّة ( جو ) جوار الجثة ..

- « هل يريد المحامى استجواب الشاهد ؟ »

- « لا يا سيدى ! »

الشاهد الثالث رأى ( بورتر ) يخرج ليلة الجريمة

ومعه مديته ..

- « هل يريد المحامى سؤال الشاهد ؟ »

- « لا يا سيدى ! »

هنا علت الهمهمات .. هذا المحامى تنقصه الحماسة ،

أو ربما هو متحمس جداً لإعدام موكله .. حتى القاضى

رمقه فى شيء من اللوم ..

هنا نهض المحامى - أخيراً - وقال :

- « اليوم يا سيدى القاضى لن ندافع عن ( بورتر )

باعتباره كان ثملاً حين ارتكب الجريمة ، بل سندافع

عنه باعتباره لم يفعلها أصلاً ، وإتنى لأرجو استدعاء  
( توماس سوير ) ! »

امتلأت القاعة بالدهشة ، حتى لم يعد فيها موطئ  
لقدم ، ودخل ( توم ) مع الحاجب وساقاه توشكان على  
التخلي عنه ..

- أين كنت يا ( توماس ) فى منتصف ليلة ١٧ يونيو ؟

- « فى المقبرة ! »

- « من كان معك ؟ »

- « هـ .. هـ .. ( ها كلبرى فان ) ! »

- « وماذا كان معك ؟ »

- « قـ .. قطة ميتة ! »

هنا تعلت الضحكات ، بينما بدت ضحكة متوحشة  
على شفתי ( إيجان جو ) .. وكالعادة قرع القاضى  
المنضدة مراراً ؛ ليعم الهدوء الجلسة ..

واتطلق لسان الصبى ، فراح يحكى القصة كلها ..  
كيف أغشى على ( بورتر ) ، ثم قنّتهز ( جو ) الفرصة  
ليولوج مديّة ( بورتر ) فى صدر الطبيب .. و .....



كانت الدقيقة التالية مثيرة جداً ، لأن ( إيجان ) وثب  
ليهشم زجاج للنافذة ، ويختفى ركضاً مبتعداً عن  
المكان .

★ ★ ★

وهكذا وصلت القصة إلى نرونها ..

لقد نال ( توم صوير ) كثيراً من الشهرة والمجد ،  
لكنه نال كذلك قدرًا لا بأس به من الرعب .. فالإسبان  
حاروا الدماء مولعون بالانتقام .. ( إيجان جو ) إسباني  
وحرّ ظليق .. وهذا يعني .....

ولقد آمن كثيرون - ومنهم ( مارك توين ) المؤلف  
نفسه كما رأينا - أن ( توم ) قد صار بطة ميتة .. صار  
تاريخاً كما تقول التعبيرات الأمريكية ، التي تحمل جميعها  
المعنى ذاته ..

كانت هذه هي الظروف التي لا بد من إيضاحها قبل  
أن نسترسل في قصتنا هذه ..

★ ★ ★

كانت ( بيكي تاتشر ) / ( عبير ) على علم بكل هذه

الأحداث ، وكان أبوها هو القاضي الذي حاكم  
( بورتر ) .. لهذا بدا لها ( توم ) شخصاً أسطورياً  
لا يمكن أن تصدق وجوده ما لم تره .. إنه بطل جسور  
لا يهاب المقابر ليلاً ، وينقذ الأبرياء من حبل المشنقة  
الملتف حول أعناقهم ..

لكن أباها قال لها على مائدة العشاء :

- « إن ( توم ) بطة ميتة .. »

وأردف مفسراً وهو يلثم باقي الخبز :

- « ( إيجان جو ) مختلف .. وقد جاعنا من المدينة  
رجل بارع في هذه الأمور ، ممن يحملون عدسة  
مكبسة ، ويبحثون عن ( دليل ما ) .. لكنه فشل في  
العثور على الإسباني .. لقد صار ( توم ) بطة ميتة .. »  
وكانت هي تسمع هذا التعبير أكثر من اللازم هذه  
الأيام ..

ازداد قلقها على ( توم ) .. لكنها في الآن ذاته ازدادت  
تعلقاً به ..

★ ★ ★

فى الوقت ذاته كان ( توم ) يلعب لعبة مختلفة معها  
فى المدرسة ..

بدأ يتجاهلها ، وينصب شبكه حول طفلة أخرى ،  
تدعى ( أمى لوراتس ) .. ومن أجل ( أمى ) هذه كان  
يتمرغ فى الوحل ، ويغرس البابيس فى ظهور التلاميذ  
الجالسين أمامه ، ويسأل بحركات مضحكة بعضلات  
وجهه .. كان يستعمل كل سحره الرجولى لييهز  
( أمى ) ..

أثار هذا حنق ( بيكى ) وصمت أن تنتقم ..

كانت ( بيكى ) الآن تشعر بكل مشاعر الأنثى البالغة  
التي تخلق عنها حبيبها ، بمجرد أن نجح فى الحياة ،  
وهو نفس شعور المرأة البسيطة الفقيرة التي تتزوج  
من طالب ، وتعيّنه على التفوق والنجاح ، فإذا ما صار  
عضواً فعالاً فى المجتمع بدأ يفتش عن زوجة أخرى  
تليق به ، وتناسب مكانه الاجتماعية الجديدة ..

صمت ( عبير ) / ( بيكى ) على الانتقام ، وكانت  
تلك المدرسة من المدارس التي يترك فيها التلاميذ  
كتبهم عند الانصراف لمنازلهم ..

لذا توجهت فى ساعة مبكرة إلى الصف ، حيث لم  
يكن من شهود عليها سوى ضميرها ، وفتحت كتاب  
( توم ) وأفرغت عليه زجاجة مداد كاملة ! إن ضمير  
المرأة التي جرحت كبرياؤها ينام غالباً ..

الآن تم عقاب ( توم ) .. وحان وقت الاستمتاع  
مادامت وحدها ..

كان المدرس - مستر ( دوبيتز ) - من الذين تمنوا  
أن يكونوا أطباء ، لكنهم فشلوا .. لهذا كان يحتفظ بعدة  
كتب طبية فى صواته ، ولم يكن أحد يطلع عليها أبداً ،  
وكان يحرص على ألا يراه أحد وهو يطالعها ؛ باعتبار  
هذا هو سرّه الصغير ..

اليوم جاعتها الفرصة على طبق من فضة ..

تسللت إلى صوان الرجل ومدّت يدها مرتجفة إلى  
أحد هذه الكتب ، وفتحته ..

كان مطبوعاً بألوان بهيجة على ورق مصقول ..  
واستطاعت أن ترى رسوماً تشريحية جميلة حقاً لجسم  
الإنسان ..





هنا شعرت بمن يدنو منها فأجفلت :

وكانت الكارثة : لأن صفحة للكتاب التي كانت تمسك  
بها تمزقت .

كان للقائم هو ( توم صوير ) ذقه ..

أعادت الكتاب إلى الصوان وانفجرت باكياً :

- « يا لك من نذل يا ( توم صوير ) ! كيف تسمح  
لنفسك بالتسلل لاستراق النظر إلى ما أفضله ؟ »

هز يديه في حيرة :

- « وكيف كان لي أن أعرف أنك هنا ؟ ولأنك تفطين  
هذا ؟

في عنف ضربت الأرض بقدميها :

- « أنا أكرهك كالجحيم ! أعرف أنك ستشئ بأمرى ،  
وتخبر المدرس بسرى .. رباه ! سألتقى علقة رهيبة ..  
أنا التي لم أضرب من قبل في المدرسة ! افعل ما تريد ،  
واعلم أنني أكرهك بشدة .. أكرهك ! أكرهك ! »

وفارقت المكان غاضبة ..

هنا شعرت بمن يدنو منها فأحفلت : وكانت الكارثة ، لأن  
صفحة الكتاب التي كانت تمسك بها تمزقت

شعر (توم) أولاً بالذنب .. فقد نجحت الفتاة بمعجزة ما  
في جعله يبدو بمظهر الأثم الوحيد في الموضوع ، بينما  
لا ذنب لها ..

بعد قليل شعر بحيرة .. يا لحماقة الفتيات ! ما الذي  
يخجلها من أن تضرب في المدرسة ؟ أي مجد في  
الابتلى الإنسان علفة من المدرس أبداً ؟ عسير أن يفهم  
هذا ..

لكنها ستتكم .. بالتأكيد ستتكم .. الفتيات لا يستطعن  
إخفاء سر .. وستكون هي الواشية لا (توم) ..

وتمنى لو كان هو المسئول عن الموقف ، فهو اعتاد  
هذه الأمور ويعرف كيف يعالجها ..

\* \* \*

وكانت اللحظات التالية رهبة حقاً ..

لقد جاء المعلم متعكراً المزاج كعادته ، وبدأ التفتيش  
على الكتب .. كان كتاب (توم) الملوّث بالحبر هو  
بداية الغيث في هذا اليوم .. ولقد تلقى علفة شنيعة  
عقاباً له (كالعادة في الواقع) ..

لكن (توم) لم يشعر بأنه مظلوم .. لقد أنكر .. لكن  
هذا لم يكن عن إيمان ، بل على سبيل التعود ، وبينه  
وبين نفسه لم يستبعد أن يكون قد سكب المداد على  
كتابه دون أن يفتن لذلك ..

الآن يجلس المدرس إلى منضدته .. يستدير ليفتح  
صوته ، ثم يمدّ يده يختار كتاباً يطالعه . بينما التلاميذ  
يكتبون دروسهم ..

يده تقع على الكتاب الطبي إياه .. لا بد من هذا ..

لحظة .. ثم ارتفعت يده حاملة الورقة الممزقة ..

وتحولت عيناه إلى عيني مذعوب أتم التحول من  
فوره .. عينا ترغمان أياً من كان على إرخاء عينيه ..

- « من فعل هذا ؟ »

سلا صمت رهيب ..

- « من فعل هذا ؟ »

لا أحد يردّ طبعا .. لكن وجه (عبر) كان يصرخ  
بوضوح : أنا فعلتها .. أنا فعلتها !



- « هل فعلت هذا يا ( جاك هاربر ) ؟ »

هزّ الصبي رأسه في رعب أن لا ..

- « هل فعلت هذا يا ( بنيامين روجر ) ؟ »

- « لا .. لا يا سيدى ! »

وببطء مضى الدور المخيف ..

- « ( ربیکا تاتشر ) .. هل فعلت هذا ؟ »

الآن صار الهلع سافراً على وجه الفتاة ، وراحت ترتجف من رأسها إلى أصابع قدميها .. لم يكن ينقصها سوى تكرار السؤال حتى تتكلم ..

- « ( ربیکا تاتشر ) .. هل فعلت هذا ؟ أجيبى وأنت تتظرين لعينى ! »

فى الثانية التالية ، وقبل أن تحدث الكارثة وتتكلم ، وثب ( توم ) صائحاً :

- « أنا الذى مزقت الكتاب يا سيدى ! »

★ ★ ★

## ٥- حُبٌّ وحرب ..

كان العقاب جديراً بسرده فى قصص الأساطير ، ليتخذ مكانه بجداره إلى جوار عقاب ( تاتالوس ) و ( سيزيف ) و ( برومئوس ) ، وأرجو ممن لا يذكرون هذه الأسماء أن يراجعوا الكتيب السابع ، لأن شرح هذه الأمور يطول ..

لكننا - كما تتوقع - نعرف أن ( توم ) كان سعيداً راضياً ، وكان للعقاب المرير يزيد عذوبة الساعات القادمة ، حين يلقى ( بيكى ) على أفراد ، وتخبره كم هو نبيل نادر للطراز حقاً ..

★ ★ ★

كان حبهما ينمو .. ربما لأن ( عبير ) فى الحقيقة أكثر عاطفية من ( بيكى تاتشر ) ، وهى برغم تصرفاتها وصغر سنّها تحمل قلب فتاة فى العقد الثالث من العمر ..

والبدلية واحدة دائماً :

يدخل ( توم ) الصف متأخراً ، فيسأله المدرس في  
فضاظة :

- « أين كنت يا صبي ؟ »

فيرد ( توم ) في ثبات :

- « كنت مع ( هاكلبري فان ) ! »

فتتسع عينا المدرس لهول الاعتراف :

- « أنت تمزح يا صبي .. هلا كررت ما قلت ؟ »

- « كنت مع ( هاكلبري فان ) !! »

وهو الاعتراف الذي يأبى للمدرس تصديقه .. ربما  
لو قال ( توم ) إنه كان مع القراصنة يذبحون طاقم  
سفينة تجارية ، أو لو قال إنه كان يرقص حول النار مع  
قبائل ( الزولو ) ، لكان المدرس على استعداد للتصديق  
أو التسامح ، لكن ( هاك فان ) هو أسوأ من يمكن  
تمضية الوقت معه في القرية ، وليكون للعقاب حاسماً :

- « اذهب لتجلس مع البنات ! »

والمقعد الوحيد الخالي عند البنات هو المقعد  
المجاور لـ ( عير ) ، وهكذا يهرع الغلام مسروراً  
منتشياً ليمضي اليوم مع محبوبته الشقراء ..

رباه ! يا لها من ساعات تمضي كالطم ، وهما  
يعيشان في عالم رومنتسى :

يلعبان ( قرادة ) حية تزحف على خط بالطبشور  
رسماء على المنضدة أمامهما .. يتكلمان عن الفئران  
الميتة ، التي يربطون ذيولها بالخيط ويديرونها حول  
رؤوسهم .. يتحدثان عن الضفادع والأسنان المخلوعة ،  
وكل ما من شأنه أن يجعل الحياة أكثر بهجة ..

في أحيان معينة يشعر ( توم ) بشيء كفكي حوت  
يطبق على أنفه ، ويرغمه على الوقوف .. عندها يدرك  
أن المدرس تسلل من خلفهما ليرقب لعبهما بالقراءة ،  
وذلك دون أن يشعرأ طبعاً ..

ويكتم التلاميذ ضحكاتهم ، بينما المدرس يرمق  
( توم ) بنظرات سفاكة ..

★ ★ ★



كان ( توم ) فى عالم خيالى من النشوة ، ولكم دار  
حول البيت الجميل ، عند أطراف القرية آملاً فى أن  
يراهها ولو شبحاً من بعيد ..

أحياناً كان رأس أشقر يتبدى فى النافذة ، ثم تسقط  
وردة حمراء هناك جوار الصور ..

كان ( توم ) يتظاهر بأنه يلعب ألعاباً بهلوانية ، ثم يمد  
أصابع قدمه العارية ليلتقط الزهرة ، ويتواثب مبتعداً ..

\* \* \*

كان اليوم هو يوم الأحد ..

والأحد إجازة بالطبع هناك ، لكن الأطفال يذهبون  
لمدارس الأحد ، ومشكلة ( توم ) الدائمة هى حفظ  
( موعظة الجبل ) لأن عقله كان يهيم فى آفاق الفكر  
الإنسانى بأسره ..

المشكلة الثانية : هى اضطرابه لغسل وجهه .. وكانت  
طريقته الفعالة هى أن يدخل الغرفة المعدة للاغتسال ،  
فيشمر عن ساعديه ثم — دون تأنيب ضمير — يسكب  
الماء على الأرض ..

ويعود ليحفف وجهه بالمنشفة لاهثاً .. لكن ( ماري )  
سرعان ما تكتشف هذا وتأمره بالاغتسال جدياً ..

يغسل وجهه على عدة مرات .. وفى كل مرة  
يفتضح الأمر : لأن الأجزاء القذرة من وجهه تبدو أكثر  
وضوحاً ..

المشكلة الثالثة : هى قيام ( ماري ) بتصفيف شعره ،  
وكان ( توم ) يمقت الشعر المصفف ويجده سبباً لتعاسة  
لا تنتهى ، فهو علامة لا ريب فيها على الأنوثة ..

للمشكلة الرابعة : هى ارتداء الحذاء .. ولم يكن  
( توم ) يرتدى الحذاء إلا يوم الأحد .. وكان يؤمن بأن  
الأحذية أجهزة تعذيب لا أكثر ..

وهكذا ، متأنفاً عريس ، يخرج ( توم ) إلى مدارس  
الأحد ..

كن فى هذا الصباح يدبر مؤامرة صغيرة ترفعه  
درجات فى عيني ( بيكى ) الحسناء ..  
وإليك التفاصيل ..

\* \* \*

كان المدرس في مدرسة الأحد قد وضع سياسة مقايضة لجعل تلاميذه يحفظون عددًا أكبر من آيات الإنجيل .. كل من يحفظ آيتين ينال بطاقة زرقاء .. عشر بطاقات زرقاء تتيح لك الحصول على بطاقة حمراء .. عشر بطاقات حمراء تتيح لك بطاقة صفراء .. عشر بطاقات صفراء معناها الحصول على نسخة أثيقة مجلدة بعناية من الإنجيل ..

كان معنى هذا أن الحصول على هذه الجائزة يحتاج إلى حفظ ألفي آية من الإنجيل ، وهو ما لم ينجح فيه سوى ( ماري ) وصبي من أصل ألماني ..

لكن ( توم ) في هذا الصباح .. كان يملك خطة محكمة ..

وقبل أن تبدأ المدرسة ، راح يجرى بعض المقايضات مع الصبية :

— « هل تعطيني بطاقة زرقاء مقابل شخص صنارة ؟! »

— « هل لديك بطاقة صفراء ، مقابل قراءة حية ؟ »

وراح الصبية بسذاجة يقبلون هذه العروض السخية ، دون أن يفكروا لحظة في مغزى هذه المبادلات ..

وبدأ درس الأحد ، وتراص الصبية في مقاعدهم .. بينما جاء المرشد المستر ( والترز ) ، وهو رجل أمين مهيب الطلعة لكن ( مارك توين ) لا يتركه في حاله كالعادة ، فيقول إن ( يافته صلبة تصل لأذنيه ، مما يرغبه إلى النظر للأمام دومًا ، والدوران بجسده كلما التفت إلى شخص ما ، ثم إن مقدم خذاته مقوس لأعلى حسب قواعد الأناقة في ذلك العصر ) ..

لقد راح يلقي موعظته ، وهو يحاول تهدئة الضجة الناجمة عن المشاحنات بين الصبية ..

لكن مدرسة الأحد اليوم تختلف ..

هناك ضيف فوق العادة ، هو القاضي ( تاتشر ) ، أبو ( بيكي ) شخصيًا .. وربما حمو ( توم ) فيما بعد لو سارت الأمور كما لن تصير لهذا ..

حقًا لم يصدق جل التلاميذ أنهم يرون رأى العين



رجلاً بهذه الفخامة والهيبة ، وحبسوا أنفاسهم .. تمنى  
كثير منهم أن يزار كما يفعل في المحكمة ، لكنهم عدلوا  
عن هذا خوفاً .. إنه رجل مهيب عظيم كثير الأسفار ..  
لقد رأى للعالم ( والعالم بالنسبة لهؤلاء الأطفال هو  
المدينة التي تبعد عشرة كيلومترات ) ، وياختصار هو  
إنسان يجلس عن الوصف ..

راح المشرفون يركضون هنا وهناك ، وتسربت  
المشرفات بين صفوف الأطفال يوجهن لهم الكلمات  
خلصة .. وبالأخص كانت هناك حالة حذر شديدة من  
( توم ) .. إنه كفيل بإفساد كل شيء ..

كان المستر ( والترز ) مستعداً لدفع أى ثمن مقابل  
أن يجد الصبي الألماني الذى فاز بعشر بطاقات صفراء ..  
وفى هذه اللحظة ظهر ( توم ) حاملاً تسع بطاقات  
صفراء وتسفراً حمراء وعشراً زرقاء !  
وارتجف المستر ( والترز ) وفكر :

- « مستحيل ! عقل هذا الصبي عاجز عن حفظ ثلاث  
آيات من الإنجيل .. قد يطير النعام وقد يبيض الفيل ،

لكن ( توم ) هذا لن يستطيع حفظ ألفى آية ! ثمة سر  
في الموضوع ! »

للسر كان أصحاب ( توم ) يعرفونه جيداً ..  
والآن عرفوا مدى سذاجتهم وحمقهم ..  
وهو ذا ( توم ) يتألق كنجم .. يتمتع كمياه نهر فى  
الشمس .. يتقدم فى مهابة ليصافح سعادة القاضى  
المحترم ..

وكل هذا أمام عيني ( عبير ) الفخور .. ( عبير )  
التي لا تعرف شيئاً عن حيل ( توم ) وأساليبه ..

\* \* \*

وفى وقار جدير بقاض ربنت الرجل على رأس  
الصبي الذكى ، وابتهسم :

- « يا لك من رجل لطيف .. ما اسمك ؟ »

تلثم للصبي ، وأحس أنه موشك على الإغماء :

- « ( توم ) .. توم ! »

- « لظن أن هذا ليس اسمك كاملاً .. إن اسمك هو ؟ »

- « ( توم .. توماس صوير ) .. »

ابتسم القاضي في وقار وجلال ، وقال :

- « أنت لن تشعر بأسف على هذا الجهد الجهد ..

إن المعرفة شيء لا يقدر بمال ، وهي التي تصوغ  
عظماء الرجال .. والآن يا ( توم ) أنت لن تبخل علينا  
بمعرفة تعلمتها .. إنك تعرف أسماء الحواريين ، فهلا  
ذكرت لنا اسمي أول اثنين منهما ؟ »

هنا بدت نظرة الغباء على وجه ( توم ) ، ولحسن  
مستر ( والترز ) بأن قلبه قد كف عن العمل للأبد ..  
لبت الأرض تنشق وتبلغنا .. إن ( توم ) - ببساطة -  
لا يستطيع الإجابة عن سؤال كهذا ..

قال ( والترز ) مرغماً على الكلام :

- « هلم يا ( توم ) .. أنت لن تتركنا ننتظر .. »  
أخيراً تكلم ( توم ) :

- « ( داود ) و ( جوليات ) ! »

وهي إجابة رائعة .. لكن المشكلة هي أنها لا علاقة  
لها بالموضوع البتة ..  
وكانت الكارثة ..

★ ★ ★

## ٦ - دعنا نبتعد ..

كثت الأمور تسوء باستمرار بالنسبة لـ ( توم ) ..

فهو لم ينس قط هذه المهانة التي لاقاها أمام أبي  
( بيكي ) ، باعتباره نصاباً أفاقاً .. أما عن وضعه في  
المدرسة فيزداد سوءاً باضطراب ..

★ ★ ★

في الصباح شعر بأنه غير راغب في الذهاب إلى  
المدرسة ..

هذا شعور طبيعي ينتاب كل تلميذ أحياناً ، لكنه ينتاب  
( توم ) دائماً ، وللمرة الأولى شعر بأنه يفضل البقاء  
في الفراش على رؤية ( بيكي ) ..

إنه يتمنى لو وجد مرضاً ما في نفسه .. راح ينقب  
عن مرض صالح فلم يجد .. ثمة آلام مغمص خفيفة قد  
يستطيع بشيء من التركيز أن يزيد منها .. لكن بعد  
قليل تلاشى الألم تماماً ..



الأسنان ؟ لا . لا ! إن العمة ( بولى ) تعالج الأسنان  
ببراءة . إصبع قدمه المتقرح ؟ لم لا ..

بدأين .. وينن .. لكن ( سيدنى ) الصغير التائم  
معه فى الحجرة لم يسمع ..

زاد ( توم ) من صوت أئنه .. والآن فقط أدرك أنه  
يتألم حقاً لا تمثيلاً .. راح يهز ( سيدنى ) بقدمه فأفاق  
هذا مذعوراً ..

- « ( سيدنى ) ! ( سيدنى ) ! » ..

نهض ( سيدنى ) ووثب ليتفحص جسد المعذب  
الصغير ..

- « ماذا بك يا ( توم ) ؟ »

- « إبنى موشك على الموت .. إبنى لتألم ! »

فى لهفة صاح ( سيدنى ) :

- « لا تخف يا ( توم ) ! لن نموت ! دعنى نناد

العمة ( بولى ) .. »

.. « فات الألوان .. فات الألوان ! قل لها إبنى

مسامحتها .. وسامحت الجميع .. قل لها إبنى ..  
آى آى آى !! »

هنا هرع الغلام طرب القلب مولوداً لينادى العمة ..

جاءت هذه مذعورة ، وقد صدقت التمثيلية أولاً ، ثم  
بشئ من التدقيق أدركت أن كل هذا تمثيل بارع  
فحسب ..

- « هيا .. نهض يا غلام ! »

هنا أيضاً كف ( توم ) عن الأئنين .. وغمغم :

- « لقد كان لئماً لا يطاق .. لئماً أنسى ألم أسناتى ! »

وكانت هذه هى زلة اللسان ، التى ما كان لها أن  
تحدث .. وعلى الفور أرغمته العمة على فتح فيه ..  
حقاً كان هناك شئ منخلخ هناك ..

- « هات الخيط وقطعة فحم مشتعلة يا ( سيدنى ) ! »

صاح ( توم ) محتجاً وهو يحاول الفرار :

- « أرجوك يا عمتى لا تخلعيها ! هذا قد يمنعنى من  
الذهاب للمدرسة ! »

- « لن يمنعك ! »

وعلى الفور بدأت ممارسة طب الأسنان بقواعد قرية  
( هتيل ) ..

لولا : ربطت الخيط إلى السن ، ثم ربطت للطرف  
الآخر إلى عامود السرير ، بحيث صار الخيط مشدودا ..  
وفجأة قربت قطعة الفحم من وجه ( توم ) فتراجع  
للوراء ، وعلى الفور سقطت السن متدلّية من طرف  
الخيط ..

★ ★ ★

صار ( توم ) نجم المدرسة لهذا اليوم ، لأن فجوة  
السن في فمه جعلت منه أستاذا بارعا في البصق ..  
وكان يبصق بطريقة جعلت للصبية جميعا يغبطونه !

جاءت ( بيكي ) / ( عبير ) لتنهنه على أسلوبه المتميز  
في البصاق ، ثم همست وهي تمشي إلى جواره :

- « إن أبي لا يطيقك .. ولو عرف أنني أتكلم معك  
لقطع رقبتى ! »



حالت هذه مذكورة ، وقد صدقت التمثيلية أولاً ، ثم بشيء من  
التدقيق أدركت أن كل هذا تمثيل بارع فحسب ..

والحقيقة هي أن (توم) صار منبوذاً آخر .. ليس  
إلى درجة ( هاكلبري فان ) الذي كتبت الأمهات بمقتن  
حروف اسمه ، لكنه صار خطراً داهماً على تربية أى  
طفل ..

قال لها ( توم ) :

- « ( بيكى ) .. إن جلّ ما أصبو إليه هو أن يأسف  
الناس من أجلى ، لأنهم لم يحبونى حين كان هذا  
يوسعهم .. آه لو كان يوسع المرء أن يموت بعض  
لوقت ! »

التمعت عينها ناشوة ..

فمن منا لم يفكر فى حلم الموت للمؤقت هذا ؟ كانت  
( عهير ) تقضى الساعات تتخيل نفسها على فراش  
الموت ، بينما يحتشد كل معنبيها حولها .. كل مدرسيها  
وأخوها وعمها .. كلهم يتوسلون إليها ألا تموت ، وأن  
تسامحهم .. لكنها تدير وجهها للجدار وتلفظ لتفاسها  
دون كلمة واحدة ..

يا للروعة ! لسوف يقتلهم الندم بعد فوات الأوان ،

ولسوف يعصر الأسى قلوبهم على الجوهرة التى  
امتلكوها ، فتركوها تسقط فى الوحل ..

كانت ككل الناس تعتقد أنها مظلومة ، وأنها لم تنل  
حقها فى الحياة ، وكانت حين تكتب لا تخط إلا عبارات  
مسطحة ، توحى بالعذاب والمعاناة على غرار ( لنا ناقوس  
يدق فى عالم النسيان ) و ( فى قلبى جرح لا يندمل ) ..  
لهذا .. بدت لها فكرة الموت أو الاختفاء رائعة  
بحق ..

\* \* \*

وبعد ساعات الدراسة التقى المعذبون الثلاثة :

( توم ) و ( بيكى ) و ( جوهاربر ) ..

كل منهم كان يحمل قروح المجتمع الذى لم يفهمه  
قط ..

( توم ) هو ما نعرفه عنه .. و ( بيكى ) ضربها  
أبوها لأنها تلعب مع ( توم ) ، أما ( جوهاربر ) فقد  
ضربته أمه ؛ لأنه شرب قشدة اللبن كلها ، وقال ( جو )  
إنه يأمل ألا تندم أمه على أنها عاملته بهذه القسوة ؛ حين



تدرك أنها قد قذفته إلى خضم الحياة ليتعذب ويتحطم قلبه  
ويموت !

وانفجر الثلاثة دموعهم ..

كان ( توم ) قد قرر أن يغدو قرصاناً وأن يثير  
للرعب في البحار ، ثم يعود يوماً إلى ( هاتيل ) ليوقف  
معذبيه النادمين الباكين جنباً إلى جنب .. ويعطو عنهم !  
لكن ( جو ) كان راغباً في أن يصير ناسكاً في كهف  
سحيق ، يموت من شدة البرد والحرمان والجوع ..

قالت ( عبير ) :

« أما أنا فأفضل أن أموت بداء صدرى ، وأن  
أسهل كثيراً جداً وأتعذب ! »

هنا قال ( توم ) وقد حزم أمره :

« الفرار ! لا سبيل إلا للفرار .. »

★ ★ ★

إلى أين ؟

إن جزيرة ( جاكسوب ) - الواقعة على بعد ثلاثة

أميال - وسط نهر ( المسيسيبي ) - تصلح بالتأكيد ..  
إنها مغطاة بالغابات ، ويمكن أن يضموا إليهم ( هاكلبرى  
فان ) الشريد ، فلا فارق لديه بين مكان وآخر ..  
الموعد ؟

منتصف الليل طبعاً .. سيلتقى الجميع هنا ، وينطلقون  
إلى ملواهم الجديد .. ولكن بعد أن يتروذ كل منهم ببعض  
المون من دله ..

★ ★ ★

منتصف الليل ..

يقف ( توم ) على المرتفع يرمق مكان اللقاء ..

كان يخشى ألا تجيء ( بيكى ) ، فلئن كان للمجيء  
عسيراً على الغلمان فهو بالنسبة لفتاة مستحيل .. لكن  
ها هو ذا يتبين ( عبير ) بثيابها الأنيقة المميزة آتية ،  
تحمل كيساً من الخبز واللحم المقددين ..

( هك ) قادم .. ثم ( جو ) ..

وأخيراً يتجهون إلى طوف خشبي مربوط إلى جانب  
النهر .. قال ( توم ) وهو يتحسس خنجراً لا وجود له :

- « لو تكلم أحد أصحاب الطوف ، فأغرسوا الاتصال  
حتى المقبض ، لأن الموتى لا يتكلمون ! »

جلس الأصدقاء الأربعة على الطوف ، فتولى اثنان  
التجديف على حين وقف (توم) عاقدا ذراعيه إلى  
صدره شامخا ، والهواء يطير خصلات شعره ، وشعر  
(بيكى) الجلوسة عند قدميه ..

وفوق الرموس تلتمع النجوم ، واضحة كما لم يرها  
أحد منذ العصر الجليدى وحتى اليوم ..

الطوف ينساب بهبط ، قرب القرية الغافلة ..

لو أنهم يروننا ! لو أنهم يعرفون أننا ذاهبون لحتفنا  
وعلى ثغورنا اهتمام مريرة ..

أخيرا تنو الجزيرة ..

ويمكنهم بدء الفصل الجديد من حياتهم هناك ..

★ ★ ★

ربطوا الطوف إلى الشاطئ ، وبحثوا فى الظلام حتى  
وجدوا شراغا يصلح لتغطية طعامهم ..

أشعلوا نارا واثتموا عشاء من اللحم ، وأقسموا  
على أن يبقوا ها هنا أبدا ..

وقال (هاك) وهو يلتم قطعة لحم أخرى :

- « إننى لم أكل ما يكفينى .. لهذا أحسب هذه  
الجزيرة جنتى ، وكفى أن أحذا لن بجىء ها هنا  
ليطاربنى .. »

قال (توم) وهو يأمل فى الظفر بإعجاب (بيكى) :

- « الآن نضع خطتنا للاستيلاء على السفن  
وحرقها ! »

★ ★ ★

## ٧- غريق !؟

- « ما الذى يقطعه القراصنة كواجب ؟ »

- « أوه .. لا شيء سوى العريضة ، يستولون على السفن ، ويسرقون كنوزها ويدفنونها فى جزر مخيفة ، ثم يقتلون كل من على ظهر السفن .. »

- « والنساء ؟ »

- « لا يقتلون النساء أبداً .. لأن القراصنة نبلاء غاية النبيل ، والنساء يكن جميلات دائماً ! »

- « وماذا عن ثياب القراصنة ؟ »

- « أوه .. إنهم يرتدون ثياباً فاخرة مزودة بالملابس والذهب .. »

وتأمل ( هاك ) ثيابه فى بؤس .. القبعة المهشمة على رأسه ، والسروال ذا الحمالات الذى يتمسك بحمالة واحدة لا أكثر ، بينما يتدلى طرفا السروال ليكنسا الأرض من الغبار .. وقدماه متسختان دائماً ..

قال فى هم :

- « سأحاول أن أبدأ للقراصنة بثياب عالية ، ثم أتلقى بعدما نصير أثرياء ! »

\* \* \*

نام الجميع ، لكن ( بيكى ) كانت تبكى فى صمت :  
لولا : هى كانت خائفة من الظلام . وقد بدا لها أن هؤلاء الثلاثة لا يشعرون به على الإطلاق ..

ثانياً : هى كانت تشعر بتأنيب الضمير .. فالتهرب من دارها لم يبد لها فكرة محببة إلى هذا الحد .. كما أنها استعارت بعض الطعام من مطبخ أسرته ، والاستعارة تعبير مهذب للدلالة على السرقة ..

لقد جلب الصبية بدورهم بعض الحلوى والخبز من بيوتهم .. لكن السرقة تتعلق عامة بالأشياء الثمينة كاللحم لا الحلوى ، وهى قد سرقت لحماً لذا هى تستحق الجلد ..

وخطر لها أن هذه كلها مغامرة من مغامرات ( فانتازيا ) ؛ لكنها قالت لنفسها إنها تعيشها ، بكل تفاصيلها ، فلا مهانة هناك ..



إن من يسرق في ( فانتازيا ) يسرق في أى مكان  
آخر ..

ولا تدري متى غلبها الهم فنامت ..

لكنها راحت تأمل أن يكون النهار أكثر إبهاجاً ..

★ ★ ★

وكان النهار أكثر إبهاجاً بالفعل ..

صحت على الندى بغير الكلا ، وهواء نقى نظيف  
يتسابق إلى رنتيها ، فتتشقه في جشع ..

اليوم لن تكون هناك مدرسة ، ولا مدرّس ، ولا  
غسيل وجه بالماء البارد ..

للغراش يحط على أوراق الشجر والزهور ، فيما  
يتصايح طائر في مكان فيردّ عليه آخر ، ويمارس نقار  
الخشب عمله في نشاط ، ودودة تزحف ببطء فوق  
غصن شجرة بادلّة يومها في كسل ..

صحا الصبية جميعاً ، وهرعوا إلى النهر ، وإبهم  
ليصخبون صخباً مريغاً في مرحهم ، ولا يكفون عن  
سكب المياه على بعضهم ، ومحاولة إغراق بعضهم

للبيض .. ولم تطفىء حملتهم حقيقة أن الطوف قد  
رحل !

في هذا الوقت قهمت ( عبير ) باسمّة في إعداد  
الإفطار لهم ، ثم راحت معهم إلى النهر تمارس حظها  
في صيد السمك ..

في الحقيقة : لم تكن هذه الجزيرة في حجم  
( أستراليا ) .. بل هي أبعد الأشياء عن ذلك .. إن هي  
إلا مساحة ضيقة تقارب ثلاثة أرباع الميل المربع ، ولم  
تبعد عن الساحل سوى بضعة أمتار .. لكنهم - كالعادة -  
تصوروا أنهم يرتانون الأرض التي غل عنها الزمن ..

قضوا اليوم ما بين استكشاف للجزيرة ، ووثب فوق  
كتل الخشب العطنة ، وصيد سمك ، وركض ..

وفي المساء جلسوا يتسامرون حول النيران ..

الحق أنهم بدعوا يتساءلون : هل هذا كل شيء ؟  
واستشعروا بعض السأم من هذه الحياة ، التي استنفدت  
أسرارها في يوم واحد ..

كان هناك .. كذلك شعور ممض .. شعور كاسح

بالحنين إلى ديارهم .. لكن العهد الصامت الذي أبرموه  
منع كلاً منهم من التثمر أو إعلان هذا .. خجلوا من  
إعلانه ..

تباً لمن يقول هذا أول مرة !

كان هذا هو العهد .. ولقد برّوا به حقاً ..

★ ★ ★

يوم ! يوم !

لم يدركوا وجود هذا للصوت إلا متأخرًا ، وفهموا  
أنهم كانوا يسمعون من فترة طويلة دون أن ينتبهوا ..

- « ما هذا ؟ »

- « كآته الرعد ..... »

- « بل كآته مدفع ينطلق .. »

وهرعوا إلى الشاطئ الذي يمكنهم منه تبين  
القرية .. كان الظلام قد أرخى سدوله ، لكنهم يرون  
زحاما من القوارب في النهر ، ويرون الكثير من القوم ،  
ويرون سحابة دخان تنبعث من طوف يتأرجح هناك ..

لقد غرق أحدهم في القرية ..

وكان البحث عن غريق في القرية له أسلوبان  
مؤكدان :

الأول : إطلاق المدفع على الماء ، ليعين الجثة على  
الخروج ..

الثاني : ملء بضعة أرغفة من الخبز بالزنبق ،  
وإلقاؤها في الماء .. الفكرة العلمية هنا هي أن الزنبق  
يحب جثث الغرقى ، وسرعان ما تحتشد الأرغفة حول  
جثة الغريق !

تساءلت ( عبير ) التي كانت تسمع الموضوع لأول  
مرة :

- « ولكن .. كيف يعرف الخبز الجاهل مكان  
الغريق ؟ »

في ثقة قال ( توم ) :

- « لا بد من أن تخبريه بشيء معين قبل أن تلقيه  
في الماء ! إن الخبز لا يستطيع التصرف وحده دون  
تعليمات .. ! »

وساد الصمت :

كل منهم يفكر في اسم الفريق الذي فقنته القرية ..

لكن ( توم ) عرفه ببساطة ، وفي فخر قال :

- « الفريق يا شباب .. هو نحن !! »

★ ★ ★

لشد ما شعر الأطفال بفخر وحبور !

لقد تحققت أمنياتهم ، وظفروا بالحلم الذي اشتبهوه  
طويلاً .. إن القرية قد وجدت الطوف ، وسرعان ما بدأ  
الهم والغم واتهمرت الدموع من أجل الأبرياء الثلاثة ..  
بل الأربعة إذا ما عددنا ( هاكلبرى فان ) بريناً .

الآن تبكى العمة ( بولى ) ، وتدمع عينا للمدرس ،  
ويرتجف القاضي ( تاتشر ) ، وتولول أم ( جو ) !  
وكلهم يودّ لو عاد الملائكة للصغار مرة أخرى !

وجلس الصبية حول النار شاردين بصطلون ،  
وأعدت لهم ( عبير ) بعض السمك المشوى ..

الحق أن الحنين إلى الوطن ، ومعرفة ما يفعله الأهل

ظل يتلاعب في النفوس ، ولكن كلاً منهم كتم مشاعره ..  
إن حياة القرصنة طويلة شاقة .. فكيف يكون الحال لو  
سنموها بعد يوم واحد ؟

وبعد قليل نام الجميع ..

ولم يعرفوا أن ( توم ) كانت لديه مشاريع معينة  
لهذه الليلة ..

★ ★ ★



## ٨ - دعنا نعد ..

تحت أستار الظلام ينطلق (توم) عائداً إلى القرية ..  
يسبح كما هو جدير بقرصان شجاع له قلب أسد ،  
متجهاً إلى الشاطئ الذي خلا من القوم ، بعد ما قنطوا  
من العبور عليه ..

ها هو ذا يصل لداره ، فيتسلل كالشعبان إلى الداخل ..  
ثمة شمعة مضاءة .. والنافذة الصغيرة المظلة على  
غرفة نوم العمة تسمح له باختلاس النظر ؛ لمعرفة سر  
الاجتماع الصغير للمنقذ ..

نعم .. كان هناك اجتماع ما بين العمة و ( ماري )  
ولم ( جو ) ..

وأصاخ السمع ليعرف ما يقال ..

★ ★ ★

تقول العمة ( بولي ) :

فيتسلل كالشعبان إلى الداخل . ثمة شمعة مضاءة والنافذة  
الصغيرة المظلة على غرفة نوم العمة تسمح له باختلاس النظر .

- « لم يكن (توم) شريفاً .. كان شقيفاً طائشاً كأي طفل .. »

وتقول أم (جوهارير) :

- « تصوري ! لقد ضربت (جو) أمس ؛ لأنه شرب القشدة ! فليرحمني الله على ما علمته به من قسوة ! لقد كان ملاكاً ، وأنا كنت سأخلص من القشدة على كل حال ! »

ثم انفجرت في البكاء ، وصاحت من بين عبراتها :

- « لو أن الزمن عاد بي لاحتضنته ، وباركته على ما فعل .. لكننا حمقى لانعرف متى ولا كيف سنفقد من نحب ! »

قالت للعمه بدورها :

- « منذ أسبوع أمسك (توم) القطعة ، وسكب دواءه المر في حلقها ، وحين نمته على تلك قال لي : إن القطعة لا عمة لها ! وكان يعني أن الدواء الذي يؤلم للقطعة لا يد أن يؤلم طفلاً مثله .. لقد قرصت أذنه بعنف

وقتها ، ونحى من عجز قاسية القلب ! فلم يسمع للبكس مني إلا تقييماً ولوماً .. »  
وانفجرت في بكاء حار ..

★ ★ ★

كان (توم) هنا قد وصل لذروة التأثير ..

ولم يكن مصدر التأثير إلا شعوره بالأسى والشفقة على نفسه ، وعلى القسوة التي غومل بها ، حتى كاد ينفجر باكياً ..

تمسك وراح يصفي لكلمات (ماري) :

- « لقد أترك القوم حين وجدوا الطوف أن الأطفال غرقوا .. وأن البحث عن الجثث يعتبر جهداً لا طائل من ورائه .. لهذا انتهت عمليات البحث .. وقد اقترح القس أن تعقد صلاة الجنازة لهم يوم الأحد القادم ، لأن معنى هذا مرور أربعة أيام على اختفاتهم ..

لتحبت للعمه والأم لدى سماع هذا ، بينما ارتجف (توم) رهبة ..

وبعد قليل تصرف (ماري) ولم (جوهارير) ..

وبقيت العمة وحدها صامئة .. إن هي إلا بضع كلمات  
ترددها من أن لآخر تعبّر عن شوقها وحبها الشديد  
للفقيد ..

وأخيراً رقدت في فراشها ، وراحت تتهد بقوة ..

سكنت حركتها ، واستطاع أن يدنو منها ..

بحذر اتحنى ونثمها على جبينها العجوز المتهك ، ثم  
تسلل بهدوء مغادراً الغرفة ..

★ ★ ★

وكان الليل يلفظ آخر أنفاسه ، حين بلغ ( توم )  
معسكرهم على الجزيرة ، وكان الصبية نائمين .. وكذلك  
( بيكي ) ..

جلس لاهثاً يرمقهم شاعراً بمدى بطولته وشجاعته ..

إن لديه الكثير مما يحكيه في الصباح ، أما الآن  
فالنوم هو خير ما يستطيع عمله ..

ونام نومًا هلتنا بلا أحلام ..

★ ★ ★

حين صبحا كان الصبية يتحدثون عن بيض السلاحف  
البحرية المدفون في الرمال .. وكان العدد يتراوح من  
خمس إلى ستين بيضة في كل حفرة ، وبيض السلحفاة  
البحرية صغير ، أصغر حجمًا من ( عين الجمل ) ، لكنه  
شهي المذاق للغاية ..

لنا منهم ( توم ) وأخبرهم بكل شيء سمعه أمس ،  
وبالطبع أضاف كثيرًا من التواهل إلى مغامرة أمس ،  
حتى بدت كأنها عمل خارق من أعمال الشجاعة ،  
لا يجسر عليه أحد ..

لم يصدق الأطفال الثلاثة كل هذا .. إنهم قد صاروا  
غرقى ، وكل القرية تبكي عليهم حزنًا ، بل - الأروع -  
ستقام صلاة جنازتهم بعد أيام !

راحوا يركضون فوق الرمال ويتواشون ، ثم يركضون  
في الماء الضحل ويتقاذفون برذاذ المياه .. وسرعان  
ما اتصل المياه الرمال البيضاء الدافئة عن أجسادهم ،  
فيعودون للشاطئ ليتزودوا بمزيد منها ..

وعندما جاءت الظهيرة صنعوا سيركًا صغيرًا ،  
وراحوا يمارسون فيه ألعابهم البهلوانية ..



جاء العصر ، وبدأ أنهم استنفدوا كل مائديهم من  
 حيل وألعاب ، وارتجفت ( عبير ) وهي ترمق للنهر ..  
 كلا .. ستقاوم هذا الحنين .. لن تكون أول من  
 يضعف .. وقتها سيقول الجميع .. هذا هو دين الفتيات ..  
 إن علامات للضعف موجودة .. على كل حال ، ويمكنها  
 أن تجدها بسهولة لدى ( جو هاربر ) .. سيكون هو أول  
 المهزومين ، وقتها سيكون حلم الجميع العننى هو العودة ..  
 كان ( توم ) يحاول جاهداً أن يثير حماس الأصدقاء  
 للبقاء هاهنا أكثر ، فكان يخبرهم عن كنوز القراصنة  
 التى تعج بها الجزيرة ، لكن هذا لم يثر حماسهم ..

★ ★ ★

وكما توقعت ( عبير ) كان ( جو ) أول من جاز  
 بالشكوى :

- « فلنعد لبيوتنا ! كفنا هذا ! »

فى خيبة أمل صاح ( توم ) :

- « البيت معناه أنك لن تستطيع السباحة .. »

- « أنا لا أهتم بالسباحة .. إنكم فقط ترغبوننى على

هذا .. »

هنا قرّر ( توم ) أن يستخدم المادة ( ب ) من كتاب  
 ( استثارة حماس الأطفال ) غير المكتوب :

- « لذهب يا ( جو ) .. فلت مجرد طفل يشاق لأمه ! »

لكن ( جو ) لم ينخدع ، ولم ينكر ذلك لحظة :

- « نعم مشتاق لأمى .. أما أنت فلا تفهم هذا ، لأنه  
 لا أم لك ! »

وفى إصرار فلما شاهده ( توم ) ، رآه الأخير يرتدى  
 ثيابه غير مكترث بالحاح أحد ..

وأثار رعب ( توم ) كذلك أن ( هك ) كان صامتاً ..  
 كان يرمق ( جو ) فى حسد ووله .. فقرر أن يحمله  
 قليلاً :

- « لقد قرّر للطفل العودة لأمه .. ليكن ! أما نحن

فقرصتان شجاعان وسنبقى هنا أبداً مع ( بيكى ) ! »

لكن ( هك ) كان صامتاً ، وصمته لا يبشر بخير ..

بعد هنيهة قال متحاشياً نظرات ( توم ) :

- « ألحق أن للوحدة هنا لا تطاق يا ( توم ) .. دعنا

نلحق بـ ( جو ) ! »

صاح (توم) فى عصبية :

- « وأنت أيضاً ؟ يا لك من طفل ! حسن ! يمكنك أن ترحل .. يمكنككم للرحيل جميعاً .. إن هذه الجزيرة تناسب (توم صوير) وتناسب (بيكى) .. ولسوف أعود لكم يوماً ما ، وقد صرت من زعماء للهنود الحمر .. سأدخل القرية مرتدياً كامل ثيابى ، ولسوف أطلق صرخة الحرب فسيرتجف أعدائى ذعراً ، ويندم أمثالكما ! »

دون كلمة أخرى ارتدى (هاك) ثيابه ، وابتعد ..

فقط قال دون أن ينظر للوراء :

- « لسوف تلحق بنا سريعاً يا (توم) ! »

- « لن يحدث ! »

دنت (عبير) / (بيكى) من (توم) ، واعتصرت ذراعه بيدها .. ومرتجفة همست وهى تنتظر للأفق :

- « فلنعد يا (توم) .. معهما حق ! »

نظر لها معتباً ، ثم غمغم :

- « أنت لا تفهمين .. هل يمكنك العودة بعد ما كان ؟ »

ماذا سيفعل بك القاضى العظيم (تاتشر) لدى العودة ؟  
لن يجلب لك الحلوى بكل تأكيد !

ارتجفت للفكرة .. إنه نفس شعور جند (طارق بن زياد) حين أحرق سفنهم ، وأخبرهم أنه لا مناص من الاستمرار ، فقد انقطعت سبل العودة ..

همست وأسنانها تصطك :

- « ماذا سيحدث لنا ؟ »

★ ★ ★

ليس ما ينتظرهما بهيجاً بالتأكد ..

فما إن تصرف (هاك) حتى تلون الهواء بلون رمادى منظر بالخطر ، وشعرا بثقل أنفسيهما مع شيء من التوتر ..  
كلما فى الجو كهربية استتيعية تفعم روحيهما لضطراباً ..

وبالفعل ومض نور لحظى ثم تلاشى .. وبعد ثوان ومض بشكل أقوى .. ثم جلجل هزيم الرعد كأنها الطبول ترتطم فى أجواز السحب ، وارتجف الطفلان هلعاً ..

لم يعد الأمر نذير عاصفة ..

إنها بالفعل عاصفة !

★ ★ ★

## ٩- فرار إلى فرار ..

الغيث ! للغيث !

لكم تختلف الشخصية الغربية عن العربية في حبها للمطر والبرد .. إن للعربي اشتق اسم (الغيث) من لفظة (الغوث) ، وحين يستريح يشعر بأن شديدة : (أتلج صدره) ؛ بينما لا يحب الغربي المطر إلى هذا الحد ، بسبب اختلاف طبيعة الطقس في بلادهم .. إن للمطر هناك كارثة حقيقية كاسحة جارفة ..

لشد ما ارتجف الأطفال هلعاً ، وهما يركضان بحثاً عن مأوى في جزيرة لم تصمم لذلك أصلاً ..

★ ★ ★

بدوى هزيم الرعد .. ثم تهرق السماء معلقة قدوم رعد آخر ..

واتهم السيل مدراراً حتى ليبلل عظامهما نفسها .

حتى للشراع الذي داروا به المؤمن طار مبتعداً إلى النهر ، وراحا يرتجفان ويحاولان التماسك ..

تُرى إلى أي حد تستطيع الأشجار التماسك ، وهي تميل بجنونها مهددة بأن تقنع ؟

تُرى كيف - وبأية معجزة - يمكن إشعال نار بصطليان بها ؟

يا لها من ليلة ! يا لها من ليلة !

★ ★ ★

وفي الصباح هدأت العاصفة ، وعاد السلام والصمت إلى الجزيرة .. صحيح أن أشجاراً كثيرة قد هوت ، وصحيح أن المعسكر قد صار تاريخاً ، لكنهما - على الأقل - ما زالا حيين ..

همس (توم) وهو يفتش تحت كتلة خشبية ساقطة :

- « النار ! هل يمكن أن ؟ » .

وبالفعل .. استطاع بمعجزة أن يجد ناراً خافتة حية تحت الكتلة ، حيث كانت نار معسكرهم .

بحث و (عبر) عن بعض قطع الخشب الجافة ، واستطاع أن يعيدا الحياة إلى الزهرة الحمراء .. الآن



فقط صار بوسعهما أن يجففا ثيابهما ، وأن يظفرا  
ببعض الدفء ..

وقالت ( عبير ) وهى تحاول شئ قطعة لحم :

- « لن نستطيع البقاء هنا أبدا يا ( توم ) » ..

- « هراء ! منستطيع » ..

كانا مرغمين على البقاء جالسين ، لأن للوحل كان  
فى كل مكان ، وما من مكان جاف يمكن النوم فيه ..

لكن الطعام والدفء أشعرهما ببعض التحسن ..

★ ★ ★

ورأته ( عبير ) قادمة من جهة البحر ، وقد دس يديه  
فى جيبي سرواله .. وشعره الأشيب المنكوش ينتطير  
فى الهواء البارد ..

وشمت رائحة التبغ القوية ..

وثب ( توم ) مذعورا فالتقط غصن شجرة مديبا ،  
وصوبه نحو القادم ، وصاح :

- « قف مكانك ! من أنت ؟ »



وثب ( توم ) مذعورا فالتقط غصن شجرة مديبا ، وصوبه نحو  
القادم ، وصاح : « قف مكانك ! من أنت ؟ »

وضعت ( عير ) يدها على فرائعه مهندنة :

- « مهلاً يا (توم) .. مهلاً ! إنه السيد (صمويل لاجهورن كليمنز) ! »

ثم يثر هذا أية علامة اطمئنان ، وقال :

- « وما معنى هذا ؟ »

- « (مارك توين) .. إنه صاحب هذا العالم ذاته ! »

نفض (مارك توين) بعض رمد السجّار ، وقال في هدوء :

- « بل وأكثر من هذا يا (توم) .. أنت هو أنا في طفولتي ! كل مغامرات (توم صوير) هي أحداث طفولتي ، وما (هاكليري فان) إلا (توم بلانكشيت) ابن سكير قريبنا .. ومثلك نشأت يتيمًا فقيرًا ، لكني أحوى شيطانًا صغيرًا تحت جلدي ! »

- « ومن أين جئت ؟ »

ابتسم (مارك توين) من وراء شاربه للكث .

- « كله إلا هذا .. من حق مؤلف القصة أن يزور

لأبطاله متى شاء ، ويتنقل في الأماكن بحريته .. لا أحد يطلب مالاً من صاحب الفندق إذا أمضى ليلته في أية غرفة أو جناح من فندقه .. »

قالت (عير) في كياسة :

- « هلا تفضلت بالجلوس يا مستر (توين) ؟ »

- « بكل سرور يا صغيرتي ، وإن كنت لا أجد موضعاً مناسباً للجلوس ..

إن هذه البذلة للبيضاء مشكلة كما تعلمين .. »

وبعد لحظة تفكير أخرج منديلاً عملاقاً ، وفرشه على الأرض المبتلة ثم جلس ببساطة فوقه ..

قال (توم) وهو يسترخي جوار النار :

- « معك منديل ؟ أنا لم أحظ قط بمنديل ، لهذا اعتبرت المناديل علامة على الفطرسية ! »

- « أنا قد صرت ثرياً يا (توم) .. لن أظل كما أنا للأبد .. لقد صرت أهم كتاب الولايات المتحدة ، وهناك دول عديدة تطلبني في جلسات قراءة .. أي أن الجمهور

يدفع مالاً لمجرد أن يدخل مسرحاً كبيراً ، أجلس أنا  
على منصته وأقرأ كتبى الشهيرة ! »  
ثم أضاف فى مرارة :

- « لكن لا أنكر أننى مت فقيراً مديناً .. يبدو أن  
أمثالى لم يخلقوا للثراء ، وقد أضعت مالى فى مشاريع  
لا طائل من ورائها .. واختراعات خيالية لشربيتها .. »  
صاح ( توم ) فى مرارة بدوره ( وإن اختلفت  
الأسباب ) :

- « إذن لم تصر قرصناً ولا لصاً عظيماً ! »  
- « للأسف لا يا بنى .. لكن - من ناحية السفر -  
أنا قد رأيت العالم ، ونم لكف عن الترحال .. »  
وابتسم ابتسامته الساخرة للمألوفة :

- « من ناحية القرصنة ؛ لم أصر قرصناً بعد ..  
لكنى صرت أكبر مشاغب عرفه العالم ، وسخريتى  
لا تنتهى من كل ما هو سخيف أو ممل فى الحياة ..  
ويقول كثيرون : إن إسكتى معجزة .. »

« الحقيقة يا ( توم ) أنك أنت مشكلة حياتى .. »

« لقد كبرت ونضجت ، لكن الصغير المشاغب ( توم  
صوير ) ظل هو المسيطر على شخصيتى .. رافضاً  
الخضوع لقيود المجتمع ، رافضاً الاستسلام لسلطة  
الآخرين .. وكانت هذه هى مشكلتى الدائمة .. »

« الحقيقة هى أننى كنت دوماً أكتب مقالين : أشهر  
واحداً على الملأ ، وأخفى للثانى فى درجى .. والثانى  
دائماً ما يضم آرائى للصريحة للصادقة ، التى لن يتلها  
أحد .. »

« فى شبابه كتبت : لقد عملت مخبراً فى المجلس  
التشريعى وفى مجلس الشيوخ ، وهكذا تعرفت أصغر  
العقول التى خلقها الله ، وأكثر النفوس أنانية ، وأشد  
القلوب جبناً ! »

« وفى عام 1861 انضممت إلى الجيش فى أثناء  
الحرب الأهلية ، وسرعان ما أثارت فكرة الحرب  
لشملزلى ، وكتبت أقول : إن تاريخ البشرية هو تاريخ  
موجز لسفك دماء البشر .. »

« وكتبت ( دماء الجندي ) الذى أقول فيه :

« رب أعنا على تمزيق جنودهم بقتالنا لتصدر



لجسادهم شرائح ملوثة بالدماء .. أعنا على أن تغطي  
حقولهم الباسمة أشلاء قتلاهم ، ولنغرق قصف المدافع  
في طوفان صرخات جرحاهم المتلويين ألما .. ولنخرب  
بيوتهم بأعاصير من نار ، ونحرمهم المأوى ، حتى  
يهيموا على وجوههم وسط الخراب ، مع أطفالهم  
الصغار بلا محب ولا صديق !

« وكتبت ذات مرة أقول : »

« إن الفساد لم يعم المجتمع .. يوجد فاسد واحد بين  
خمسين صالحا .. لكن الفاسدين يتحدون يوما فيكون  
لاتحادهم قوة ، تمكنهم من تحقيق أحلامهم ..

« وهكذا كان من الطبيعي أن أطرده من كل صحيفة  
عملت بها ..

« ومن لحظتها قررت أن أتحول إلى آلة لجمع المال ،  
وتزوجت ابنة مليونير ، ورحلت أكتب لمجرد الكسب ..

« لكن ( توم ) الصغير الساخر المشاكس ظل حيا  
في داخلي ، ولم يكف قط عن جعل لساني ينزلق ..

« كتبت ذات مرة أقول :

« للفارق بين الكلب والإنسان ، هو أنك لو النقطت  
كلها جلقا فأطعمته فلن يعضك أبدا !

« لقد كتبت حياتي كلها صراعا بين المجتمع وبين  
( توم الصغير ) الصغير .. »

\* \* \*

سألته ( عبر ) وقد راقت لها كلماته :

— « تقول إنك اشتريت اختراعات فاشلة ؟ أية  
اختراعات ؟ »

ابتسم في مرارة ، وبصق في النار وقال :

— « كل شيء وأى شيء .. لقد خدعني كل المخترعين  
بسبب طيبة قلبي ، ربما ما عدا واحدا لم يستطع  
خداعي .. »

— « حقا ؟ ومن هو ذلك الأحمق ؟ »

— « إنه اسكتلندي يدعى ( ألكسندر جراهام بل ) .. كان  
يريد أن يشاركه ببعض المال من أجل اختراع ينقل  
للصوت عبر الأسلاك ! تصوروا هذا السخف ! قلت له إنه  
يمزح ، وبنتي لن أبدو ملى على ضوضاء في أسلاك ! »

« أنت رفضت المشاركة في اختراع الهاتف ؟ »

« هذه هي المرة الوحيدة في حياتي التي تصرفت فيها بحذر .. ولو لم أفعل لصرت مليارديراً .. »

ثم أطفأ سيجاره ، وقال بعدما سعل مرتين :

« الآن يجب أن نعالج الملقى الذي أفتما فيه ! »

★ ★ ★

## ١٠- مكان آخر ..

تساعلت ( عبير ) وقد عادت لعالم الخيال :

« أي ملقى نحن فيه ؟ إن الأمور على ما يرام .. »

نهض ( مارك توين ) وأصلح من ثيابه ، وقال :

« بالعكس .. إن الأمور سيئة حقاً .. والسبب

أنت .. لو لم تلحقى بـ ( توم ) إلى هذه الجزيرة لمضت الأحداث كما رسمتها لها ..

« كان ( توم ) سيجيء إلى الجزيرة مع رفاقه ، ثم يظهر في نفس اللحظة التي يتم فيها مأتم دفنه ، ليحدث تبهاراً عميقاً ، ويفقد الكل مستعدين للتسامح إزاء فرحة كهذه ..

« لما وقد جعل الحب ( توم ) يبقى هنا ، وجعلك تفرين من آلك ..

أما وقد عاد ( هاك ) و ( جو بورتر ) إلى القرية ؛ فلا بد أن النار مشتعلة هناك ، والغضب عام عليكما ..

« لابد أنهم ينتظرون هدوء العاصفة : كي يأتوا إلى هذه الجزيرة كي يقبضوا عليكما .. وهو ما يحدث الآن بالتأكيد .. »

« تخيلي ما سيحدث بكما من هول ، وأى انتقام ينتظركما .. لن يكون الجلد بالسياط هو جل ما سيحدث كما تعلمان ! »

★ ★ ★

في هذه المرة تقلص وجه ( توم ) ، وبدأ واهنا ضعيفا خائر القوى ، عاجزا عن الاختيار للصائب ..

- « رباه ! وماذا نفعل يا مستر ( توين ) ؟ »

- « اتركاني أفكر .. على البحث عن مخرج آخر .. »

وراح يذرع المكان أمام عينيهما ، وأشعل سيجارا آخر بحثا عن إلهام قصصى مناسب ..

في النهاية توقف ، وقال :

- « لا حل سوى لعب دور ( روميو ) و ( جولييت )

إلى النهاية .. سيكون عليكما الهرب إلى مكان آخر .. »  
صاحت ( عبر ) في رعب موشكة على البكاء :

- « مكان آخر ؟ أين ؟ »

- « حاولي أن تهني .. فلم أكن لنا سبب ما حدث .. »

ثم أردف ، وهو يشير إلى الأفق باتجاه لم يتبيناه :

- « هناك جزيرة في المحيط يمكنني نقلكما إليها ، وهناك تتموان مغا وتمارسان حياة كحياة ( روينسون كروزو ) .. »

قالت ( عبر ) في شك :

- « لكن هذا يجنح بالقصة إلى شواطئ ( البحيرة للزرقاء ) ! »

- « لا مفر لي الآن سوى الاقتباس من زميلي في المهنة ( ستاكبول ) .. هل ألتما موافقان ؟ »

- « ما دام لا مفر سوى هذا .. »

★ ★ ★



فى اللحظة التالية كاتا يقفان على شاطئ جزيرة  
وسط المحيط . تتعالى الأمواج من حولها ، وتحلق  
النوارس متصايحة .

كانت هناك بقايا سفينة محطمة .. وكوخ خشبي  
مصنوع دون براعة ، وهكل عظمى يرتدى ثياب بخار  
ملقى على الرمال ..

قال (مارك توين) وشعره الأشعث يتطاير فى الهواء :

- « من هنا يمكنكم البدء من جديد .. هل ثمة  
أسئلة ؟ »

صاح (توم) مذعورا :

- ولكن ماذا سنفعل هنا ؟

- « ياله من سؤال ! تحييان ! أنتما أردتما هذا من  
زمن . وهذه هى الحرية التى يطمح إليها كل طفل ..  
أنت يا (توم) قد ظفرت بما لم أظفر أنا به قط ،  
وما عشت حياتى كلها أشتهيهِ ، فحاول أن تستمتع  
بهذه الهبة .. »

صاحت (عبير) فى جزع :

- « وما هو مستقبلنا ؟ »

- « مستقبلكما هو أن تكبرا هاهنا ، وتعلما كل  
شيء .. ثم تتزوجا وتتجبا يوما ما .. »

- « ومن يزوجنا ؟ »

لهتسم من وراء شاربهِ الأشعث ، وقال :

- « لا مشكلة هناك .. ما زال الوقت مبكرا على  
أسئلة كهذه ، ويوما ما ساعود وأجلب لكم رجل دين  
يزوجكما .. والآن وداعا ! »

- « هل ستعود يا مستر (توين) ؟ »

نظر للسماء للزرقاء فى استرخاء ، وقال :

- « بالتأكيد ساعود .. من الصير أن يموت مؤلف  
فى (فانتازيا) كما تعلمون .. أما فى دنيا الواقع فقد  
انتهت حياتى من زمن سحيق ..

« لقد ولدت عام 1835 عندما كان مننب (هالى)

يبحر الفضاء ، وتمنيت يوماً ألا أموت ، حتى يعود مذنب  
( هالى ) .. وبالفعل توفيت عام 1910 فى نفس يوم  
ظهوره !

« لقد كانت حيلتى كهذا المذنب .. أضاعت وأحرقت  
ثم التفت ، لكن روحى تظل معلقة به أبداً ..  
« سأعود لكما أيها الطفلان العزيزان بالتأكيد .. »

★ ★ ★

واستدار متجهاً للبحر ..

وقال وهو مستمر فى مسيرته :

- « ثمة مفاجأة صغيرة أحضرتها معكم إلى هذه  
الجزيرة .. »

صاح ( توم ) فى حبور :

- « حقاً ؟ هذا لطف منك يا سيدى .. »

كان ( توين ) يشق للماء الآن ، وقد وصل إلى  
خصره ، وطفئت سترته للبيضاء على صفحته ، بينما هو  
يواصل الكلام :

- « لنتما تعرفان قواعد القصة : لا تترك خيوطاً من  
أى نوع معلقة .. »

لا بد من إغلاق الأبواب كلها ؛ حتى لا يهرب  
اللقارئ .. »

هتفت ( عبير ) محاولة أن تقهر صوت الأمواج :

- « ما أعظم لطفك يا سيدى ! ما هى هذه المفاجأة ؟ »

الآن وصل للماء إلى رأسه ، وهو يصيح :

- « إن ما يجعل المفاجأة تستحق اسم مفاجأة ، هو  
كونها مفاجأة ! »

والآن اختفى كلية تحت صفحة الماء ..

★ ★ ★

قللت ( عبير ) فى مرح ، وهى ترمى الماء الذى  
للتام على الرجل :

- « رجل لطيف حقاً ! »

قال ( توم ) فى لا مبالاة :

- « لكنه ليس قرصانا . ولو كان يمثل مستقبلي حقاً  
فلنا غير راغب في الحياة ساعة أخرى ! أنا لم أضح  
بكل هذا كي أصبح كاتباً شهيراً .. إن حياة للتوصية  
هي ما أتوق إليه ! »

- « ليس كل ما يتمناه المرء يدركه .. »

وارتجفت وهي ترمق الماء ، وسالت زمعة من  
عينيها :

- « ما كنت أحسب أن نترك وراءنا كل شيء بهذه  
البساطة .. كل شيء .. قريبتنا .. أبي وعمك والمدرسة  
و ... و ..... »

- « لم يكن لنا خيار .. لقد قررنا أن نفرّ ولم يعد  
التراجع ممكناً .. »

عضت على أناملها في حسرة ، وقالت :

- « لو أننا عدنا .. فلربما تحملنا العقاب ثم يعود كل  
شيء إلى ..... »

- « هل تمزحين ؟ إن عقابنا هذه المرة لن يمرّ دون  
دماء ! »

قالت وهي ترمق البحر مفكرة :

- « ما هي المفاجأة التي أعدها لنا ؟ »

والمفاجأة كانت - في هذه اللحظة بالذات - تزحف  
خلفهما حاملة خنجراً !

★ ★ ★



## ١١- اثنان وقاتل ..

إنه ذلك الحافز الخفى ، الذى يجعلك تشعر بأن هناك  
من يطيل النظر إلى ظهرك ، فتستدير ..

حافز كهذا هو ما جعلهما يستديران ، وفى اللحظة  
التالية رآياه .. ( إيجان جو ) الإسبتى بشحمه ولحمه  
الشريبين ..

كان فى يده خنجر مقوس شرس المظهر ، وفى  
عينيه احمرار نيران جهنم ، وبين أسنانه النخرة يفتح  
ثعبان الانتقام ..

- « ( بكى ) اابتعدى ا »

وراحا يجريان دون أن ينظرا للوراء ..

كان الوغد حافى القدمين ، سريعا كالأرنب ، لكنه  
تحتاج إلى لياقة أكثر من اللازم كي تتحق بطفلين فى  
العاشرة من عمرهما وقد راحا يركضان فوق الرمال



كان فى يده خنجر مقوس شرس المظهر ، وفى عينيه احمرار نيران

جهنم

الساخنة في سبل متعرجة ، حتى وجدا جرفاً صخرياً  
تواريا وراءه ، وراحا يلهتان كحيتين ..

هتف ( توم ) ورنثاه توشكان على الانفجار :

- « آه .. الإسبتي ! ماذا جاء بـ .. به إلى هـ ..  
هنا ؟ »

مثله هتفت :

- « إيه .. إنها المفـ .. المفاجأة التي أعـ .. أعدها  
لنا مستر ( توبيين ) ! »

- « و .. ولماذا يحاول ( توبين ) قتلنا ؟ إن أول  
ماسيفعه هذا آه ( جو ) هو قطع رقبتى ، باعتبارى  
الشاهد ضده فى المحكمة .. »

استردت أنفاسها أخيراً ، فقالت :

- « إغلاق الدفاتر ! إن ( توبين ) بحاجة إلى إغلاق  
دفاتره ما دام مسار القصة قد تبدل .. لا يمكنه ترك هذا  
الخيوط معلقاً .. كل القراء يعرفون أن ( جو ) سيلاحقك  
مطالباً بالانتقام .. وهم يرغبون بشدة فى معرفة نتيجة  
اللقاء .. يسمون هذه بـ ( نقطة الإشباع ) ، ولو لم ترد  
فى القصة لسقطت سقوطاً نريغاً .. »

- « لكن ( توبين ) يعرف أن هذه نهايتى .. »

- « إن الأنيب فيه أقوى من الرجل للشهم .. »

ونظر ( توم ) حوله فى خيبة أمل :

- « أى أمل لنا هنا ؟ جزيرة جرداء بلا مخاض ،  
ولسوف يجتأ ( جو ) خلال ربع ساعة لو طال عمرنا  
قليلاً .. »

واستطاعت من مخبئها أن تراه يجول فى الجزيرة ،  
هائجاً كذئب مسعور ، لا يكف عن التلويح بخنجره ،  
وطعن خصوم وهميين فى الهواء .

لن يمر وقت طويل .. قبل أن يستكشف حاجز  
الصخور .. وعندها ..

\* \* \*

نظرت حولها مفكرة ..

كان حاجز الصخور ينحدر نحو ما يشبه فتحة  
أحاطت بها النباتات ، ولم يكن هذا مخبأ ممتازاً .. لكنه  
يصلح مؤقتاً ..

قالت لـ ( توم ) :

- « هذا كهف .. هل تراه ؟ »

- « أراه .. ويبدو أنه مناسب للغاية .. »

وأمسك بيدها بعينها على نزول الصخور ، وبعد دقائق وقفا أمام الفتحة المظلمة يفكران : هل ندخل ؟

كانت الرائحة كريهة بالداخل حقاً ، ولم يجد ( توم ) سبباً يمنع من أن يكون هذا وكراً للثعابين .. لكنه لم يجد مهرباً ولا حلاً آخر ..

في صرامة اعتصر يدها ، وشهق .. وبعد ثوان اعتادت عيناها المظلام ، فمشيا بتحسسان خطواتهما ..

وهذه الأشياء التي تحوم حولك ، وتوشك على الاصطدام بوجهك ، ليست بالتأكيد سوى .....

وطاويط !

\* \* \*

ولم يكن خطر الوطاويط في كونها وطاويط ..

الخطر في أنها بدت واضحة للعيان ، كعمود من

بخان أسود يتصاعد كثيفاً من فتحة الكهف ، وكان لا بد أن تكون ضريحاً كي لا تراه ..

وبالطبع رآه ( إيجان ) وترجم الإشارة الدخائية فوراً ..

تقلصت كفه على الخنجر ..

وتلاعبت على وجهه ضحكة متوحشة ..

\* \* \*

وفي الظلام همس ( توم ) :

- « ( بيكي ) .. ماذا سيحدث ؟ »

- « في موقعنا هذا ؟ »

- « بل في القصة الأصلية .. أنت تعرفينها جيداً .. »

فكرت في الظلام هنيهة ، ثم قالت بذلك الهمس الشبيه بالفحيح :

- « كان هناك كهف .. لكننا كنا في تزهة مدرسية وضللنا طريقنا في الظلام ، وقابلنا ( جو ) هناك .. لكننا تمكنا من الخروج ، وبعدها قامت القرية بتثبيت باب



حديدي على مدخل الكهف .. لم يعرفوا لحظتها أن  
( إيجان جو ) بالداخل .. وحين عدنا إلى الكهف معهم  
وجدنا البئس ميتاً وقد تشبث بالقضبان ، ناظرًا إلى العالم  
الخارجي .. لقد حاول البقاء حيًا عن طريق أكل  
الشموع ، والتهام بعض الوطاويط التي لم يبق منها  
إلا مخالبها ، لكنه في النهاية مات جوعًا وعطشًا ،  
نهاية دامية تليق به حقًا .. »

فكر ( توم ) قليلًا ، ثم قال :

- « لقد أعطتني هذه النهاية فكرة .. هل تظنين لهذا  
الكهف مخرجًا آخر ؟ »

- « لا .. إنه ضيق ومظلم كقبر .. »

- « وهناك صخرة فوق مدخله .. هل رأيتهما ؟ »

- « أظن هذا .. »

- « إذن تعالى نخرج الآن سريعًا .. »

وبصرامة جذب يدها حتى كاد يخلعها ، وخرجا إلى  
العراء .. لحسن الحظ كان ( إيجان جو ) بعيدًا يدور  
حول حاجز الصخور ..

وثب ( توم ) فوق مدخل الكهف ، وأعان ( عبير )  
على الوثب إلى جواره ، ثم رقد الطفلان حابسين  
أنفاسهما ..

\* \* \*

( إيجان جو ) يدنو من الكهف ، شرسًا كثور يرى ،  
حذرًا كافئ ..

نظر لأعلى وتشمم الهواء .. ولوح بخنجره ..

ربع ثانية لكنها جمدت الدم في عروق الطفلين ..

وسرعان ما دخل إلى الكهف ..

- « الآن يا ( بيكي ) ! »

وتشبثا بالصخور ، وبكل ما في ساقيهما من قوة  
ركلا الصخرة التي فوق قمة الكهف .. تدهرجت  
الصخرة الثقيلة ، ثم هوت في المكان الصحيح تمامًا ..  
استقرت على الباب تاركة فجوة صغيرة ، تسمح بمرور  
طفل رضيع لا أكثر ..

تعالى صوت الزئير والصياح الإسباني من الداخل ..

لقد انفجر البركان الشرس ..



وهمست ( عبير ) دون أن تعرف لماذا تهمس :

- « سيتمكن من لحزحة الصخرة .. »

- « لا .. »

قالت ( توم ) بثقة ، ووقف يرمق المدخل من عل :

- « لن يستطيع .. إن الصخرة لم تسقط إلا اعتمادًا

على ثقلها .. أما في وضعها الحالي ، فمن العسير على

رجل أن يزحزحها .. »

- « سيفنتها بخنجره .. »

- « يحتاج إلى أيام لو كان هذا ممكنًا .. وربما

يقضى جوعًا قبل أن يتمكن من هذا .. »

لمسكت يده في رهبة ، وهمست :

- « أي أننا آمنون ! »

- « أظن هذا .. »

★ ★ ★

لو كنا آمنين فمن هذا الرجل ذو البذلة السوداء ،

القادم من بعيد في تودة وثقة ، وهو يداعب قلما زنهركيًا

لا يكف عن ( التكتكة ) ؟ »

صاح ( توم ) :

- « واحد ثالث ! هذه أكثر الجزر المهجورة لزحامًا

في العالم ! »

قالت ( عبير ) وهي تثب إلى الأرض في رشاقة :

- « لا عليك ! هذا جاء معي ! »

بنا ( المرشد ) منهما وتأمل المشهد ، ثم قال في

رضا :

- « لا بأس .. لا بأس .. لقد ذهبت إلى ( هاتييال )

لأصطحبك يا فتاة ، فعلمت أنك في المحيط على جزيرة ،

في مغامرة شبيهة بقصة البحيرة الزرقاء .. »

- « هو تعيل اضطر إليه المستر ( توين ) .. »

بسماعته المعهودة ضحك ، وركل صخرة صغيرة :

- « لا بأس .. لا بأس .. هاها ! والآن هيا بنا ! »

صاحت في دعر متراجعة :

- « لا ! لن أترك ( توم ) وحده ، خاصة لو تحرر

هذا الوحش .. »

لنقسم من جديد :

— « تك تك ! أولاً : هذا الوحش لن يتحرر ..  
سيأكل وطواطاً أو اثنين ثم يموت جوعاً .. ثانياً : (توم)  
لن يبقى هنا .. لن أترك أهم شخصية في الأكب  
الأمريكي على هذه الجزيرة القاحلة .. إن (توم) يستمد  
وجوده من (المسيحي) ومن قرية (هاتيفال) ، ولو  
ابتعد عنهما فلن يعود هو (توم صوير) .. »

وثني ذراعه كي تتأبطه (عبير) :

— « هيا بنا ! »

مشيت معه بضع خطوات فوق الرمال الساخنة ، ثم  
استدار ليقول لـ (توم) :

— « سأتى لأعيدك بمجرد أن أخلص من هذه  
الآفة ! »

★ ★ ★

كان هذا حين أفاقت (عبير) من رحلتها ..  
وسمعت صوت بكاء انتهت التي شعرت بالجوع ..

★ ★ ★

انتهت القصة ..

لكن (عبير) لم تمل (فانتازيا) ولأسوف تزورها  
مراراً ..

وزيارتها للقائمة ستكون لمكان دن جداً :  
(المعدى) .. حيث تنطلق دراجات خمسة أصدقاء  
ومعهم كلب أسود لطيف ..

هل تعرفون من هم ؟

[ تمت بحمد الله ]

★ ★ ★